بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

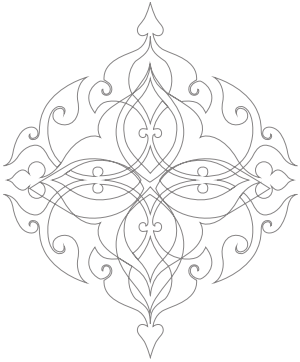

موسوعة البصرة الصغيرة

سِلْسِلَةٌ ثَقَافِيَّةٌ تَتَنَاوَلُ التُّرَاثَ البَصْرِيَّ

تَصْدُرُ عَنْ مَرْكَزِ تُرَاثِ الْبَصْرَةِ التَّابِعِ لِلْعَتَبَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

(٢)

تكوين البصرة الحديثة

تأليف

الأستاذ الدكتور

حُسَيْن عَلِي الْمُصْطَفَى

مركز تراث البصرة

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبةُ العبّاسيّةُ المقدّسةُ
قسمُ شؤونِ المعارفِ الإسلاميّةِ والإنسانيّةِ
مركزُ تراثِ البصرةِ
البصرة – شارع بغداد – حيّ الغدير
هاتف: ٠٧٨٠٠٨١٦٥٩٧ – ٠٧٧٢٢١٣٧٧٣٣
البريد الإلكتروني: basrah @ alkafeel.net

المصطفى، حسين علي عبيد، 1949-
تكوين البصرة الحديثة / تأليف الدكتور حسين علي المصطفى.-الطبعة الأولى.- البصرة، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث البصرة، 1438 هـ. = 2016.
167 صفحة : جداول ؛ 24 سم.-(موسوعة البصرة الصغيرة)
المصادر : صفحة 149-162 ؛ وكذلك في الحاشية.
1. البصرة (العراق)--تاريخ. 2. البصرة (العراق)--الأحوال الاجتماعية 3. البصرة (العراق)--الأحوال السياسية. ألف. العنوان

DS79.9.B3 M8 2016
مركز الفهرسة ونظم المعلومات

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب:..... تَكوِينُ البصرةِ الحَدِيثةِ
تأليـــــف:.....الأستاذ الدّكتور حسين علي المصطفى
النّـــــاشر:..... العتبة العبّاسيّة المقدّسة/ قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة/ مركز تراث البصرة.
الطبعـــــة:..... الأولى
المطبعـــــة:.....دارالكفيل
سنة الطبع:.....محرّم الحرام ١٤٣٨هـ – تشرين الأوّل٢٠١٦م
عدد النسخ :.....(١٠٠٠)

حقوق الطبع والنشر محفوظة على النّاشر.

مقدّمة المركز

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

الحَمْدُ لله ربِّ العَالمينَ، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِ الخَلقِ أجمعينَ، المصطفى الصّادقِ الأمين، وعلى آلِهِ السّادةِ الذّادةِ، والحُماةِ القَادةِ، منارِ الدّينِ وعصمةِ المتّقينَ الطيّبينَ الطاهرينَ، وبعد:

يسرّ مركز تراث البصرة أنْ يضعَ بين يدَي قرّائه ومتابعيه الكرام إصداره الثاني من (موسوعة البصرة الصّغيرة) بعنوان (تكوين البصرة الحديثة)؛ ليتناول المراحل التي مرّتْ بها البصرة، بدءً منْ تكوينها وتمصيرها سنة (١٤هـ)، ثُمَّ تنقّلها من بصرة الزّبير، إلى بصرة المشراق، ثُمّ البصرة الحاليّة، على نحو الإيجاز والتلخيص، متضمِّناً معلوماتٍ قيّمةً عنْ أحوالها العلميّة والاجتماعيّة والعمرانيّة والسّياسيّة في مراحلها المختلفة. ونحن إذْ نقدّم للقرّاء الكرام هذا الجهدَ نشدُّ على أيدي الباحثينَ والكتّابَ، ونذَكِّرهم بأنّ أبوابَ الموسوعةِ مفتوحةٌ للرّاغبينَ في الكتابة فيها،

على أنْ لا يتجاوزَ البحث حدود (الخمسين صفحةً) على وفق برنامج الورد الطباعيّ، وأنْ تكونَ مادّته العلميّة مختصّةً بالبصرة، وبمختلفِ جوانبِها الكلّيّة والجزئيّة، آملينَ أنْ تكونَ هذه السّبيل خدمةً ورفْداً لتراثِ هذه المدينةِ الزخّار، ووفاءً لعطائها الممتدِّ على الأقطار.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

البصرة الفيحاء
مركز تراث البصرة

المقدّمة

الحمدُ لله ربِّ العَالمينَ، بارئِ الخلائقِ أجمعينَ، والصّلاةُ والسّلامُ على النبيِّ الأمينِ، وعلى آلِهِ الهُداةِ المهديّينَ الخِيَرةِ المهَذّبِينَ...

وبعد:

عُدّتْ البصرةُ منذُ تأسيسها عام (١٤هـ) مدينةَ العطاءِ والإبداع والأدب والعلم، فضلاً عن دورها التجاريّ، وبرز فيها علماء الفقه والأدب والفلسفة، وغيرها، واستمرّتْ في عطائها في هذه المجالات في تلك الأزمان وحتّى الوقت الحاضر.

يُحاول هذا البحث الإجابة عن عدّة تساؤلاتٍ، منها:

هل اقتصر وجود البصرة على مكانٍ واحدٍ، أو أكثر منْ مكانٍ؟ وما هو شكلُ النسيج الاجتماعيّ فيها؟ ولماذا كان عطاءُ أهلها وإبداعهم متميّزاً؟ ولماذا اتّصفتْ بالتسامح والكرم بين كلّ طوائفها؟ وما تأثير النزاعات والحروب على طبيعة النّاس فيها؟

وهل انفردتْ بطابعٍ تجاريٍّ مميَّزٍ خلاف غيرها مِنَ المدن؟

ولشمول البحث، كان لابدُّ من الإشارة إلى البصرة الأولى، وجملةٍ من أحوالها المختلفة، ومراحل تطوّرها، لينصبّ البحث بعد ذلك على البصرة الحديثة، وعليه فقد قُسِّم البحث على ثلاثة فصول، حسب المكان الذي وُجِدتْ فيه المدينة، فهناك البصرة التي أسّسها (عتبة بن غزوان)، وهي المدينة الإسلاميّة الأولى، وقدْ سمّيتها: (البصرة الأولى)، وقدْ استوعبَ الفصلُ الأوّلُ الحديثَ عنها. والفصلُ الثاني تناول المكان الآخر الذي ليس بعيداً عن المكان الأوّل، وقدْ انتقل إليه النّاس من البصرة الأولى، وسمّوه: (البصرة الجديدة)، وسمّيتُه: (البصرة الثانية)، في محلّة المشراق والباشا. والفصلُ الثالثُ يتناول الموقع الأخير للمدينة، الذي تمّ الانتقال إليه في العقود الأخيرة من القرنِ التّاسع عشر، عندما بدأ السّكن في منطقة العشّار، وسمَّيتُه: (البصرة الثالثة). وقد تمّ هذا التقسيم نسبةً إلى انتقال مقرّ الحكم إلى تلك الأماكن الثلاثة.

ويصحُّ القول إنّ مدّة الانتقال بين هذه الأماكن الثلاثة

استغرقتْ ثلاثة عشر قرناً، ومازالت مستمرّة.

وبالتأكيد أنّ بحثاً كهذا لا يستطيع تغطية كلّ ما حدث في هذه المواقع الثلاثة، إلا بالاختصار الشّديد لكلّ ما حدث، وإعطاء صورة مفيدة للقارئ، كي يحيطَ بتأريخ البصرة الشّامل، بخطوطه العامّة، وأنا على يقين بأنّ القارئ سوف يعرف كيف سارتْ الحياة في هذه المدينة، وكيف تحدّى أهلُها المصاعب، ما دعا الكاتب (سليمان فيضي) إلى أنْ يُطلِقَ عليها اسم (البصرة العظمى)، كما أطلقه عليها سابقاً ياقوت الحمويّ[1].

اعتمد البحث على عددٍ من المصادر والمراجع، سواء أكانت مخطوطة أم مطبوعة، وبعض البحوث والمقالات في المجلّات العلميّة، وغيرها.

فأرجو أنْ أكونَ قدْ وفّقتْ لكتابة هذا البحث؛ ليكونَ بانوراما مركّزة عن البصرة، لحثّ الكّتاب والباحثين على كتابة بحوث تفصيليّة عن كلّ مفردةٍ تناولتها باختصار، لتتّضح صورة البصرة الكاملة، ومِنَ الله التوفيق.

---

(١) يُنظر: الحمويّ، معجم البلدان: ٢/ ٣٤٠، مادّة (بصرة).

البصيرة الأولى

البصرةُ الأولى

بعد تثبيت أسس الدّولة الإسلاميّة في العهد النبويّ في داخل الجزيرة العربيّة، في عهد الرسول الأعظم محمّد ﷺ، انطلق العرب المسلمونَ منها لنشر العقيدة الإسلاميّة في بقاعٍ أُخَر، وقدْ احتاج الأمر إلى بناء أماكن استيطان عسكريّة، فقاموا في البداية ببناء مدينتي البصرة والكوفة، وعُدّتْ البصرة من أوائل المدن الإسلاميّة التي بُنيتْ خارج الجزيرة العربيّة.

استمرّتْ البصرة في التأثير بمجرى التأريخ العربيّ الإسلاميّ في المجالات السّياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة لعدّة قرون بعد تأسيسها، وكان تأثيرها في تلك المجالات يتفوّق على نظيرتها مدينة الكوفة[1].

واختلفتْ الآراء في معنى كلمة (البصرة)، إلا إنّ الرأي الذي

---

(١) يُنظر: عبد الرزاق عبّاس، نشأة مدن العراق وتطوّرها، بغداد،١٩٧٧م: ص ٣٤.

يربط بين التسمية وبين ما يُستوحَى من تفسيرٍ لطبيعة الأرض، الذي يعني (الأرض الرّخوة)، أو (الأرض الغليظة الضّاربة في البياض)، هو الأكثر قبولاً عند الباحثينَ المحدثينَ[١].

وعلى الرُّغم مِنْ تأسيس البصرة في عهد عمر بن الخطّاب في عام (١٤هـ/ ٦٣٥م)، على يد القائد (عتبة بن غزوان)، فإنّها لم تخلُ مِن تجمّعاتٍ سكّانيّةٍ حلّتْ فيها – لأسباب تجاريّة وعسكريّة– قبل تأسيسها، ومن أولى تلك التجمّعات تأتي (الأُبُلّة)، التي تقع على الشاطئ الغربيّ لدجلة العوراء(شطّ العرب)، واختلفتْ الآراء في تحديد موقعها بالنسبة لمدينة البصرة الحاليّة، إلا إنّ موقع بداية نهر العشّار في ضفّته الشّماليّة هو المكان الأكثر رُجحاناً بين المؤرّخينَ، وبخاصّة المُحدثينَ منهم[٢].

(١) يُنظر: شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: إبراهيم الكيلانيّ، دمشق، ١٩٦١م: ص٢٦، وعبد الجبّار ناجي، دراسات في تاريخ المدن الإسلاميّة، البصرة، ١٩٨٦م: ص١٣٠.

(٢) للتفاصيل عن الأُبُلّة موقعاً وأهميّة في التاريخ الإسلاميّ، يُنظر: أمل عبد الحسين السّعديّ، الأُبُلّة في العصر الإسلاميّ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م: ص ٦١-٧٢.

وقدْ كانت الأُبُلّة محطّ أنظار القوى الطامعة من فرس وإغريق؛ وذلك لموقعها المهمّ؛ إذْ عُدّتْ مركزاً لنقل التجارة بين الشرق والغرب آنذاك[١].

وتأتي الخُريبة - شمال جامع الإمام عليّ عليه السلام - تجمُّعاً سكّانيّاً آخر سبق تأسيس البصرة، وقدْ شنّتْ عليها بعض القبائل العربيّة عدّة غارات قبل بناء البصرة، بحيث أضعفوها، وشلّوا قدرتها الدّفاعيّة، ولمّا قدمها عتبة بجيشه، لم يجدْ فيها مقاومةً تُذكر؛ لذا أُطلِقَ عليها الخُريبة (تصغير خربة)[٢].

خِطط البصرة

هناك عدّة أسباب لاختيار القائد عتبة بن غزوان موقع بناء البصرة، إلا إنّ الدافع العسكريّ والإداريّ هما الأهمّ. وقدْ أعطتْ الانتصارات التي أحرزتْها الجيوش العربيّة الإسلاميّة في المشرق، وكذلك زيادة حجم سكّان البصرة أهمّيّةً لها؛ إذْ أصبحتْ

(١) يُنظر: صالح أحمد العلي، خطط البصرة ومنطقتها، بغداد، ١٩٨٦م: ص١٣٦-١٤٠.

(٢) يُنظر: ياقوت الحمويّ، معجم البلدان: ١/ ٤٣٠.

الحاجة ماسّة لإيجاد خطط لبنائها[١]. وكانت خطط المدينة قبليّة، أي تتوزّع أفراد كلّ قبيلة في محلّة خاصّة بها، ويبدو أنّ تخطيطها كان التجربة الأولى لتخطيط المدن في العصر الإسلاميّ الأوّل[٢].

وكان المسجد الجامع مِنْ أوّل ما تمَّ تشييده في المدينة، وعُدَّ أوّلَ مسجدٍ جامعٍ خارج الجزيرة العربيّة، وثالثَ جامعٍ يُبنى في الإسلام، وتكمن أهمّيّة هذا الجامع في أنّه المكان الذي كانت تُعقد فيه الحلقات الفقهيّة والعلميّة، ثمّ صار فيما بعد من أكبر المعاهد الإسلاميّة التي يتمُّ فيها تدريس مختلف العلوم[٣]، وثاني الشّخوص العمرانيّة المهمّة هي (دار الإمارة)، وهي بمنزلة مقرّ الحكم والإدارة، واستمرّ الولاة في إدارة المدينة وتوابعها من هذا المكان، حتّى زمن الحجّاج بن يوسف الثقفيّ (٧٥-٩٥هـ)،

---

(١) يُنظر: صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البصرة في القرن الأوّل الهجري، بغداد ١٩٥٣م: ص٧٣، ٢٠٧.

(٢) يُنظر: كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة، بغداد،١٩٦٧م: ص ٩-١٢.

(٣) للتفاصيل عن المسجد الجامع، يُنظر: أحمد بن يحيى البلاذريّ، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٣٢م: ص٣٤١-٣٤٢.

الذي قام بهدمها بعد بناء قصره بالحزيز- وهو مكان يقع في الجهة الغربيّة من البصرة، في طرف المِرْبد، ويُحدِّد العليّ [١]موقعه اليوم قرب منطقة (خور الزبير)- وهكذا اتّخذ الولاة قصورَهم بدلاً من دار الإمارة لإدارة الحكم.

وشملتْ البصرة في العهد الإسلاميّ الأوّل المنطقة الجنوبيّة من العراق بين الأحواز والبطائح شمالاً، واليمامة جنوباً، وشمال الجزيرة العربيّة غرباً[٢].

شهدتْ البصرة نشاطاً تجاريّاً قبل بنائها، ويبدو أنّه لم يكن في البصرة في بداية تأسيسها إلّا سوق المِرْبد، الذي يقع غرب البصرة، أي إنّه السوق الرّئيس فيها. وكان المربد في الأصل مكاناً لبيع الإبل والتمور، وأصبح فيما بعد ملتقىً أدبيّاً وتجاريّاً، ومنبراً للأفكار والنزعات المختلفة[٣]، وتمّ بناء قصور عديدة

(١) يُنظر: العلي، خطط البصرة: ص١٠٧.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٨١-١٠٢.

(٣) يُنظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام، دمشق،١٩٦٠م: ص١١٧، ٤١٢-٤١٣.

في الجانب الشرقيّ من المِرْبد، منها: قصر (زربي) مولى (عبد الله ابن عامر)، وقصر (ضمرة بن المغيرة)، وقصور طائفة من القادة والشخصيّات البارزة.

وتمّ اتّخاذ الجانب الجنوبيّ مقبرةً أُطلق عليها اسم (الجبّان)، وهي المقبرة الرئيسة التي دُفنتْ فيها عدّة شخصيّات بصريّة. وبالقرب من المِرْبد أنشأ العبّاسيّونَ المدرسة النظاميّة التي بقيتْ حتّى عام (٤٤٩هـ)، وهناك معالم أثريّة في المِرْبد وما جاوره ماتزال قائمة حتّى الآن[١].

ونتيجة لنموِّ المدينة والتطوّر الذي صاحبها بسبب ازدهار حياتها الاقتصاديّة، أصبحتْ هدفاً للهجمات الخارجيّة، وبدأتْ الأخطار تحدِّق بها؛ لذا أصبحتْ الحاجة ماسّة لإحاطتها بسور، وتمّ ذلك في عام (١٥٥هـ)، لكنّه لم يدُم طويلاً؛ لعدم الاهتمام بصيانته، وعندما استفحل خطر القرامطة، قام والي البصرة (محمّد ابن هشام) ببناء سور جديد حولها في عام (٢٨٦هـ)، إلا إنّ هذا

(١) يُنظر: العلي، خطط البصرة: ص ١١٣، ١١٥، ١١٧.

لم يمنع من دخولهم إلى المدينة ليفتكوا بأهلها، ولعلّ بناء السّور لم يكن بالمستوى المطلوب. واستمرّتْ حركة بناء الأسوار في البصرة بسبب الأخطار المتزايدة، فتمَّ بناء سورينِ آخَرينِ، في عام (٥١٦هـ)، وفي عام (٦٢٩هـ)[١].

أُنشِئتْ البصرة على طرف الصّحراء؛ لذا كانتْ مشكلة توفير المياه للمدينة من أصعب المشاكل التي واجهتْ الولاة فيما بعد، ما دعتْ الحاجة الماسّة إلى حفر الأنهار، وتمّ حفر أوّل نهر في منطقة تسمّى (الإجّانة)، وهي بمنزلة خور ارتبط بنهر الأُبُلّة، ولمسافة ثلاثة فراسخ، فصار طول النهر المحفور مع نهر الأُبُلّة ما يقرب من الأربعة فراسخ[٢].

واستمرّ ولاة البصرة بحفر الأنهار لحاجة المدينة المتزايدة للمياه، فتمَّ حفر نهر (معقل)، الذي قام بحفره (معقل بن يسار) فنُسب إليه، ثمّ توالى حفر الأنهار. وعلى الرّغم منْ توافر المياه

(١) يُنظر: العلي، خطط البصرة: ص١٣٤-١٣٥.

(٢) يُنظر: أحمد كمال زكي، الحياة الأدبيّة في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجريّ، دمشق، ١٩٦١م: ص٣٦.

لأهاليها، إلا إنّ مشكلة أخرى قدْ برزتْ، ألا وهي ملوحة المياه، التي بقيتْ قائمة عدّة قرون[١].

الأحوالُ الاقتصاديّةُ

كان المصدر الرئيس للثروة في بداية بناء البصرة هو غنائم الحرب التي وظّفها الولاة والأمراء في الأمور التجاريّة، يُضاف إلى ذلك ما اقترضه الأمراء من المبالغ من بيت المال لاستخدامها في التجارة، وعندما ازدهرتْ الحياة الاقتصاديّة في البصرة - خاصّة في العصر العبّاسيّ- توافد عليها التجّار ورجال الأعمال والعمّال (الأُجَراء)، ما أكسبها دوراً اقتصاديّاً متميّزاً[٢].

واشتهرتْ البصرة بإنتاجها من المنسوجات القطنيّة الجميلة، وكذلك المنسوجات الصّوفيّة والحريريّة، وظهرتْ في الأسواق

---

(١) يُنظر: البلاذريّ، فتوح البلدان: ص٣٥١، وللمزيد عن أنهار البصرة في العهد الإسلاميّ، يُنظر: محمّد طارق الكاتب، شطّ العرب وشطّ البصرة والتاريخ، البصرة، ١٩٧١م: ص١٣٩-١٤٥.

(٢) يُنظر: العلي، التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة: ص٧٣، ١٩٣.

الملابس الجاهزة أيضاً[١].

وشهدتْ البصرة قيام عدّة صناعات يدويّة، ومنها: صناعة الخزف، التي اكتسبتْ شهرةً واسعةً في العصر العبّاسيّ، وبرع البصريّونَ في صناعة الزّجاج والخِفاف (الأحذية) والحلي، ودعتْ الحاجة في بلدٍ تكثر فيه الأنهار ويُطِلّ على الخليج إلى التخصّص في بناء القوارب والمراكب والسُّفن، فضلاً عن صناعات أُخَر محلّيّة كصناعة الحصر، وأصبحتْ البصرة مشهورة بالبراعة في صناعة السِّلع، حتّى قيل: «الفصاحةُ في الكوفة، والصّنعة في البصرة»[٢].

وفي مجال التجارة الخارجيّة، شهدتْ البصرة ازدهاراً كبيراً، وبخاصّة مع إمارات الخليج، ومع بلاد المغرب العربيّ، وانتعشتْ تجارتها مع الأقاليم الأُخَر، مثل: الهند والصّين، والأقاليم المجاورة لهما[٣].

---

(١) يُنظر: عبد العزيز حميد، الفنون الزخرفيّة، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م: ٩/ ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) حمدان عبد المجيد الكبيسي، الصّناعة، حضارة العراق: ٥/ ٢٧٩-٣١١.

(٣) يُنظر: العلي، التنظيمات الاجتماعيّة: ص٢٠٧-٢٢٨.

الأحوالُ العلميّةُ

ونتيجة لتباين اللّغات الناتج من دخول أجناس مختلفة إليها لعدّة أسباب، دعتْ الحاجة إلى وجود الدّراسات النحويّة والصّرفيّة فيها، وكانت البداية لذلك هي عقد الحلقات العلميّة في كلٍّ من المسجد الجامع وسوق المِرْبَد[١].

وقدْ أعطى بعض الكتّاب صورةً واضحةً لمدينة البصرة في القرن الثالث الهجريّ، تدُلّ على حركةٍ علميّةٍ وثقافيّةٍ متصاعدةٍ. وكذلك شهدتْ الحركة التعليميّة والفكريّة في الدولة الإسلاميّة إبّان القرن الرابع الهجريّ ازدهاراً في مختلف مرافقها، وانعكس ذلك على البصرة أيضاً، فقدْ نبغ فيها العلماء والمفكّرونَ، وتمّ تأسيس ستّ مدارس علميّة، أصبحتْ مشهورة بعد ذلك[٢].

---

(١) يُنظر: خديجة الحديثيّ، اللّغة والنحو، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م: ٧/ ٢٠.

(٢) يُنظر: زكي، الحياة الأدبيّة في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجريّ: ص٣١، وبشّار عوّاد معروف، التربية والتعليم، مدارس العراق في العصر العبّاسيّ، حضارة العراق ، بغداد، ١٩٨٥م: ٨/ ١٢٠.

وقدْ سكنتْ المدينة شخصيّات لها قيمتها الدّينيّة والفكريّة والعلميّة، ويذكر الباحثونَ أنّ مِن الذين استقرّوا في البصرة من الصّحابة ثمانيةً وعشرينَ صحابياً، وواحداً وخمسينَ تابعيّاً. وظهرتْ فيها شخصيّات سياسيّة وقضائيّة نفّذتْ السّياسة الأمويّة في ولاية البصرة، أمثال: زياد بن أبيه، والقاضيان إياس بن معاوية وكعب بن سور. وظهرتْ فيها شخصيّات أدبيّة كبيرة، أمثال: الفراهيديّ، والحريريّ، والفرزدق، والجاحظ، وغيرهم[1].

الأحوالُ السّياسيّةُ

شهدتْ مدينة البصرة أحداثاً سياسيّة مختلفة، وقدْ امتزجتْ الحياة المدنيّة فيها بالجوانب العسكريّة، بنحوٍ أصبحَ الفصل بينهما صعباً، ويرى بعض الباحثينَ أنّ التفسير الصّحيح لتاريخ البصرة العاصف المليء بالثّورات ناتج عن هذه الثنائيّة[2].

(١) للمزيد من التفاصيل، يُنظر: عبد الحسين المبارك وعبد الجبّار ناجي، من مشاهير أعلام البصرة، البصرة، ١٩٨٣م.

(٢) يُنظر: عون الشريف قاسم، شعراء البصرة في العصر الأمويّ، بيروت، ١٩٧٢م: ص ١٤-١٨.

وكان من أولى تلك الأحداث السّياسيّة الصّاخبة، وقعة الجمل، التي حدثتْ في عام (٣٦هـ) بالقرب من المِرْبد، بين جيش الإمامِ عليٍّ عليه السلام، وجيش عائشة وطلحة والزبير.

وكان للاضطرابات السّياسيّة وعدم الاستقرار القَبَلي أثر في كثرة تغيير وتبديل ولاة البصرة وقادتها حتّى عام (٤٥هـ)، إلا إنّ ولاية زياد بن أبيه وضعتْ حّداً لهذه الفوضى والاضطرابات؛ إذْ قام بإعادة تنظيم القبائل في البصرة والسّيطرة على أوضاعها باستخدام وسائل قمعيّة قاسية[1].

وفي بداية العصر العبّاسيّ، قامتْ في البصرة ثورة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام على سلطة أبي جعفر العبّاسيّ، في عام (١٤٥هـ)، وفشلتْ تلك الثورة نتيجة القسوة التي اتّبعتْ ضدّها، وبعدها اندلعتْ اضطرابات سياسيّة في عام (١٧٩هـ)، وعام (١٩٦هـ)، وسرعان ما انتهتْ وعادتْ

(١) يُنظر: عبد الحميد ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق، محمّد أبو الفضل إبراهيم: ٨/ ١٢٠، وخالد جاسم الركابيّ، الجيش والشرطة، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م: ٦/ ٢٢٣، ٢٥٨.

أنشطة الحياة في البصرة إلى عهدها[١].

لم يدُمْ ذلك السّلام الذي عمَّ البصرة طويلاً؛ إذْ سرعان ما هجم صاحب الزنج (عليّ بن محمّد) عليها عام (٢٥٧هـ)، وقتل الآلاف من أهلها، وأحرق المسجد الجامع، الأمر الذي اضطرّ قسماً كبيراً منْ سكّانها وعلمائها للهجرة إلى المناطق المجاورة، واستقرّ قسمٌ منْ سكّانها في بغداد وواسط[٢].

أعقب تلك الفترة هدوء نسبيّ استمرّ حتّى عام (٣١١هـ)؛ إذْ داهمها القرامطة، وهدموا مسجدها الجامع، وأحرقوا المِرْبد، ما أدّى إلى إجبار أعداد من أهلها على تركها. ولم تتوقّف هجمات القرامطة على البصرة، بل هاجموها مرّة ثانية في عام (٣١٦هـ)، واستمرّ تدخّلهم وتأثيرهم في المدينة حتّى عام (٣٨٨هـ)، حين

(١) يُنظر: أبو عمر، خليفة بن خيّاط، تاريخ خليفة بن خيّاط، تحقيق: أكرم العمريّ، بغداد، ١٩٧٧م: ص٤٢٢، ٤٥٥، ٤٦٧

(٢) يُنظر: محمّد بن جرير الطبريّ، تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، ١٩٣٩م: ٨/ ٢٥٥، ٥٦٦.

اشتبكتْ القبائل العربيّة المحيطة بالبصرة معهم[١].

أصبحتْ البصرة في المدّة بين (٣٢٦-٥٩٣هـ) مسرحاً للصّراع بين البريديّينَ، وهو لقبٌ لثلاثة أخوة، هم: (أبو عبد الله أحمد، ويعقوب، وأبو الحسين)، والبريديّ نسبة إلى والدهم، الذي كان متسلّماً للبريد في الدولة العبّاسيّة، وقدْ بدؤوا حياتهم موظّفينَ في الإدارة والسّياسة، ثمّ تقلّد (أبو عبد الله) منطقة الأحواز، وخلال فترة اضطراب الأوضاع السّياسيّة في بغداد، نجح في مدّ نفوذه إلى البصرة وواسط، وكان في بعض الأحيان يُغيرُ على بغداد ويسيطر عليها لمدّةٍ قليلةٍ.

وخلال مدّة الحكم البويهيّ، قام معزّ الدّولة البويهيّ بتجهيز حملةٍ عسكريّةٍ ضدّ البريديّ، فاضطرّ الأخير للهرب إلى البحرين[٢]بمعونة المنتفق وقادة الجيش العبّاسي، وكانتْ نتيجة

(١) يُنظر: علي ظريف الأعظميّ، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧م: ص٨٣.

(٢) يُنظر: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج١، مادّة البريديّين، ترجمة: عبّاس محمود وآخرين.

الصّراع سيطرة الجيش العبّاسيّ واحتلال المدينة عام (٤٩٩هـ)، وأصبحتْ المدينة بعد ذلك هدفاً لغزو قبائل صحراء البصرة والأحساء، مثل: قبائل بني عامر، وخفاجة، والمنتفق.

وعلى أثر سقوط الدّولة العبّاسيّة بيد المغول عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) أصبحتْ المدينة عُرضة للإهمال والفوضى، شأنها شأن مدن العراق الأُخَر[١].

وبعد هذه المدّة المضطربة، بدأتْ قبيلة المنتفق تحاول فرض سيطرتها على القبائل الواقعة شمال البصرة، ودخلتْ في صراع مع الدّولة الجلائريّة عام (٧٩٦هـ) في محاولةٍ للسّيطرة على البصرة[٢].

وخلال تلك الأحداث اجتاحتْ البصرة الأوبئة والأمراض والفيضانات، ومنها طاعون سنة (١٣٩٧م)، الذي وُصف بأنّه

---

(١) محمّد صالح القزّاز، الحياة السّياسيّة في العراق في عهد السّيطرة المغوليّة، النجف الأشرف، ١٩٧٠م: ص ٣٢٨، ٣٣٧.

(٢) يُنظر: جاسم مهاوي حسين، تاريخ الغزو التيموريّ للعراق وبلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد،١٩٧٦م: ص ١٤٨-١٥٢.

كان عنيفاً على البصريّين. وفي سنة(١٤٣٦م) اجتاح المدينة فيضان لمدّة يومين وليلة، مع انتشار الأمراض، وقُدِّر أنّه كان يموت في كلّ يومٍ ما يقرُب من (٣٠٠) نسمة[١].

(١) يُنظر: الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٣١.

البصيرةُ الثانيةُ

البصرةُ الثانيةُ

الانتقالُ من البصرةِ القديمةِ إلى البصرةِ الجديدةِ (الثانية)

لم تجرِ عمليّة انتقال السّكّان من المكان الأوّل لبنائها إلى مركز البصرة الجديدة مرّة واحدةً. ويُورد الطبريّ نصّاً يستدلّ منه على أنّ هناك أكثر منْ مكانٍ يصلُح مركزاً للمدينة ابتداءً من شاطئ دجلة العوراء (شطّ العرب)، وتحديداً في الأُبُلّة، ثمّ الاتجاه غرباً إلى المكان الذي أصبح المكان المطلوب لبنائها لأسبابٍ استراتيجيّةٍ وعسكريّةٍ، يقول النصّ: « وأمّا أهل البصرة، فكان مقامهم على شاطئ دجلة، ثمّ أرزوا مرّات حتّى استقرّوا، وبدأوا، فخنسُوا فرسخاً، وجرّوا معهم نهراً، ثمّ فرسخاً، ثمّ جرُّوه، ثمّ فرسخاً، ثمّ جرُّوه، ثمّ أتوا الحجر، ثمّ جرّوه، واختُطّتْ على نحوٍ من خطط

الكوفة»[١].

وكان هناك خلال القرن الأوّل الهجريّ أكثر من حدثٍ لهذه العمليّة، فالأُبُلّة (ميناء على شطّ العرب)، أقدم تأسيساً من البصرة الإسلاميّة؛ وقدْ قام القائد عتبة بن غزوان بطرد الحامية الفارسيّة منها حينما حرّرتْ قوّاته الميناء، واستمرّتْ الأُبُلّة تمارس نشاطها حتّى القرن الثامن الهجريّ، واختلف المؤرّخونَ والكتّاب في تحديد موقها الحالي، والموقع الأكثر دقّةً أنّ نهر العشّار هو نهر الأُبُلّة، وأنّ منطقة العشّار هي المكان المقترح لميناء الأُبُلّة[٢]، التي كانت معسكراً وميناءً للفرس قبل دخول القوّات الإسلاميّة إلى منطقة البصرة، وبقي هذا الميناء يستقبل السّفن الكبيرة التي لا تستطيع الوصول إلى مركز المدينة في العصور اللّاحقة. وعند زيارة

(١) يُنظر: عبّاس العزّاويّ، العراق بين احتلالين: ٣/ ٩٨.

(٢) يُنظر: مصطفى جواد، الأُبُلّة ونهرها العشّار، مجلّة سومر، ١٩٥٣م: ١/ ١٦٢-١٦٦، ومحمّد طارق الكاتب، شطّ العرب وشطّ البصرة والتاريخ، البصرة،١٩٧١م، وأمل عبد الحسين السّعديّ، الأُبُلّة في العصر الإسلامي حتّى سنة (٢٥٧هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، أُجيزتْ في كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦م، والعلي، خطط البصرة.

الرّحّالة (ناصر خسرو) إلى المدينة في عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥٢م) ذكر أنّه شاهد الأُبُلّة « بقصورها وأسواقها ومساجدها وأربطتها، وهي من الجَمال بحيث لا يمكن حدّها أو وصفها»، وعند تطرّقه إلى مراكز الاستيطان في البصرة ذكر أسماء عشرينَ ناحيةً تمتدّ من جنوب البصرة وحتّى شمالها، وأشار إلى وجود ثلاثة عشر مشهداً باسم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قدْ زارها كلَّها[1]، وقدْ بقيتْ أسماء ثلاث من تلك النواحي، وهي: الشرير والحويزة وشطّ العرب - الذي ذُكر بهذا الاسم لأوّل مرّة عند الرّحّالة ناصر خسرو- لحدّ الآن. وبقي نشاط الأُبُلّة في تناقصٍ مستمرّ، عدا كونها ميناءً للبصرة. وعند زيارة الرّحّالة ابن بطوطة لها في عام (١٣٢٥م)، وصفها بأنّها «قرية بها آثار قصورٍ وغيرها، دالّة على عظمتها»[2].

---

(١) يُنظر: ناصر خسرو علوي، سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشّاب، القاهرة، ١٩٩٣م: ص١٦٧-١٦٨.

(٢) يُنظر: محمّد بن عبد الله اللّواتي الطنجيّ- المشهور بابن بطّوطة - تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتّانيّ،

أصبحتْ مناطق جنوب البصرة منذُ بداية العصر الإسلاميّ مراكز استيطان ريفيّ، وما حركة الزّنج إلّا إحدى الشواهد على ذلك، (فالمختارة) عاصمة الزّنج تقعُ بالقرب من نهر أبي الخصيب، والموفّقيّة - المدينة المؤقّتة- التي أنشأها الموفّق (طلحة)، القائد العبّاسيّ لمحاربة الزّنج، كانت قريبةً من أماكن الزّنج، التي استمرّتْ بالبقاء حتّى بعد القضاء على حركتهم[1].

بالرّغم من عدم وفرة المعلومات لدينا عن الاستيطان الريفيّ في تلك الحقب، فيمكن استنتاج أنّ ريف البصرة أصبح بعد الحروب العنيفة والدّامية التي قام بها الزّنج والقرامطة ضدّ مدينة البصرة، مأوىً للكثير من الفارّينَ منها؛ إذْ بنوا قرى متناثرة بين بساتين النّخيل، بقيتْ حتّى العصر العثمانيّ، ونستدلّ على ذلك من وجود أسماء للقرى منذُ القرن الرابع عشر الميلاديّ، تخالف ما أدرجه البلدانيّونَ في العصر الإسلاميّ.

وفي موضوع الانتقال من البصرة الأولى إلى البصرة الثانية،

بيروت، ١٩٧٥م: ١/ ٢٠٧.

(١) يُنظر: علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة: ص٧٧.

تتبادر إلى الذّهن عدّة أسئلة، ومنها:

ما أسباب انتقال سكّان البصرة من مدينتهم الأولى؟ وهل تمّ الانتقال إلى مكانٍ واحدٍ أو أكثر من مكان؟ وما هو الحجم السكّاني لتلك الهجرة؟ وفي أيِّ حدودٍ زمنيّةٍ تمّت الهجرة؟

إنّ ما يُلفتُ النظر في هذا الأمر هو أنّ مدينة البصرة تعرّضتْ لهجمات وحروب عديدة، منذُ العصر العبّاسيّ وما بعده في عصور السّيطرة الأجنبيّة على العراق، واستمرار الغزوات البدويّة من جهة بادية البصرة بين الحين والآخر، وكانت تلك الغزوات تتناسب تناسباً عكسيّاً مع جهود وقدرة المسؤولينَ من ولاة وقادة عسكريّين فيها، فتقلّ عند وجود ولاة أقوياء، وتزداد عند الأزمات وتولّي ولاة غير مؤهّلينَ لحماية المدينة؛ لذا فقدْ فضّلتْ أعداد من السكّان الابتعاد عن هذا الخطر الدّوريّ، لاحتمال تعرّضهم لأعمال القتل والسّلب والنهب.

وقدْ يكون من أسباب الهجرة تعرّض المدينة إلى مياه السّيول الجارفة الآتية من الغرب، وهبوب الرّياح والعواصف الترابيّة

العاتية، التي قدْ يتسبّب بعضها – على حّد قول بعض المؤرّخينَ– في قلع أبواب المنازل، ووصول الأتربة إلى مستوى تلك الأبواب أحياناً[١].

فضلاً عن ذلك، يمكن أنْ نعُدّ انتشار الأمراض والأوبئة أحد أسباب الهجرة، لكنّنا لا يمكن أنْ نعُدّهُ سبباً رئيساً في ذلك، على الرُّغم من كون العراق تجتاحه الأوبئة في حدود كلّ عشر سنوات –آنذاك– حسب تقدير العزّاويّ[٢].

ومنَ المؤكّد أنّ مسألة قلّة المياه أو شحّتها كانت سبباً رئيساً في هجرة السكّان من المدينة الأولى، فمن المعلوم أنّ نهرَي المعقل والأُبُلّة التاريخيّينِ كانا مصدرَا المياه في مدينة البصرة أوائل إنشائها، لكنّ الأزمات الاقتصاديّة، وأعمال تدمير السّدود، التي تعرّضتْ لها من هجمات الحملات الأجنبيّة، وإهمال الولاة لمجاري المياه، أدّتْ إلى اندثار أجزاء مهمّة من النهرين؛ بسبب

(١) يُنظر: عبد الواحد باش أعيان، تحفة النصرة في أخبار البصرة، مخطوطة المكتبة العبّاسيّة في البصرة، رقم أ٣،ج٣، ورقة (٢١٥).
(٢) يُنظر: العزّاوي، العراق بين احتلالين: ٣/ ٤٢.

إهمال كريها وتراكم الطّمي والغرين فيها بمرور الزمن، ما أدّى إلى مشاكل كبيرة لسكّان المدينة، وأصبح موقع المدينة غير مناسبٍ لأداء وظائفها الاجتماعيّة والاقتصاديّة، فضلاً عن السّياسيّة، بنحوٍ أدّى ذلك كلّه إلى تغيير موقعها نحو الشّرق[1].

لاتزال مرحلة التشكّل الدّيموغرافيّ في البصرة الثانية موضوعاً من الصّعب تحديد بداياته، لكنّ استقراء الأحداث يدلّ على أنّ الأسباب التي ذكرناها سابقاً، جعلت بعض الجماعات السكّانيّة تتّجه من البصرة الأولى (بصرة عتبة بن غزوان) نحو الشّرق والجنوب، مُيمِّمةً وجهها نحو موارد المياه والأرض الزراعيّة وغابات النخيل؛ إذْ اتّخذتْ لها أماكن للسُّكنى والمعيشة على شكل قرى زراعيّة في جنوب البصرة بمحاذاة شطّ العرب، وهناك إشارات عن قيام بعض عوائل آل راشد – حكّام البصرة قبل الاحتلال العثمانيّ– في استصلاح بعض الأراضي، وإنشاء

(١) يُنظر: عماد عبد السّلام رؤوف، الحياة الاجتماعيّة في العراق إبّان عهد المماليك(١٧٤٩-١٨٣١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، أجيزت في كلّيّة الآداب– جامعة القاهرة، ١٩٧٦م: ص٢٢٠.

قرى زراعيّة في جنوب البصرة، وتحديداً في السّرّاجي ومهيجران في بداية القرن الرابع عشر الميلاديّ، ما يؤكّد ذلك[١].

وجاء ذكر بعض الأُسر، ومنها: أسرة الرّفاعي (آل النقيب)، واتّخاذهم (السّبيليّات) منتجعاً ريفيّاً لهذه الأسرة في جنوب البصرة، وسكنتْ أُسرة الدّغمان- الذين ينتسبونَ إلى قبيلة قشعم العربيّة- قرية نهر خوز، بالقرب من نهر أبي الخصيب عام (١٤٧٠م)[٢].

والمهمّ ذكره أنّ منَ الصّعوبة تحديد زمن الانتقال إلى المكان الثاني بشكلٍ دقيقٍ؛ إذْ لا نجد اتفاقاً بين المؤرّخينَ والكتّاب على ذلك، فبعضهم يجعلُها في بدايات القرن الرابع عشر الميلاديّ، أمثال: الأعظميّ، والحيدريّ، وحدّدها الحمدانيّ في العقود الأولى من القرن السّادس عشر الميلاديّ، إلا إنّ المدقّق في النصوص

(١) يُنظر: إبراهيم فصيح الحيدريّ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد، (د.ت): ص١٨٤.

(٢) يُنظر: عبد الواحد باش أعيان، مخطوطة زبدة التواريخ، ج٢، ورقة (٥٦)، و ج١٢، ورقة (٤٢).

التاريخيّة يجد أنّ بداية تكوين المدينة كان في العقود الأولى من القرن الخامس عشر الميلاديّ، وممّا يعزّز هذا الرأي ما ذكره العزّاوي عن استيلاء (عليّ بن محمّد بن فلاح المشعشعيّ)على الحلّة، ونقل أموالها وأموال المشهدينِ في كربلاء المقدّسة والنجف الأشرف إلى البصرة في عام(١٤٥٣م)[١]، ويُفهم من ذلك أنّ البصرة كانت آنذاك ضمن ممتلكات المشعشعين، وربّما لم تكن -حينذاك- أكثر من مدينة ناشئة.

ويؤكّد بعض الباحثين أنّ جيوش(محمّد بن فلاح) هاجمتْ البصرة ثلاث مرّات، ونجحتْ في الأخيرة في احتلال المدينة، وكان القائد العسكريّ لجيوش المشعشعينَ (علي بن محمّد)، الذي قاتل ابن حاكم البصرة (الأمير طلحة) قرب باب القلعة في المدينة، والواقعة عند بساتين النخيل، ثمّ فرض الحصار على السّكّان، ونجح في الاستيلاء عليها[٢]، ويذكر بعض الكتّاب أسماء المناطق

(١) يُنظر: العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين: ٣/ ١٤٤.

(٢) يُنظر: علي نعمة الحلو، الأحواز(عربستان في أدوارها التاريخيّة)، القسم الأوّل من الجزء الثاني، بغداد، (د.ت): ص٦٢.

التي وقعت فيها المعارك، ومنها: الرّباط، والمشراق، وهما من محلّات البصرة الجديدة، وإذا علمنا أنّ (عليّ بن محمّد) قُتل في عام (١٤٥٥م)[١]، فيمكننا وضع هذا الحدث في العقد الرابع من القرن الخامس عشر الميلاديّ، وأنّه تمّ في البصرة الثانية، بدليل وجود القلعة التي تُحجم المصادر عن ذكرها في البصرة القديمة، فضلاً عن ذكر بساتين النخيل، التي تكاد تكون نادرة في البصرة الأولى.

لم تكن هجرة السّكّان من البصرة الأولى بشكلٍ جماعيٍّ، بل كانتْ على شكل جماعات صغيرة، وربّما كانت منذُ الغزو المغوليّ للعراق عام (٦٥٦هـ-١٢٥٨م)- بشكلٍ مؤقّتٍ- إذْ أُجبِر سكّان بعض الولايات، مثل: الحلّة، وواسط، على النزوح نحو جنوب العراق، متّخذينَ من الأهوار أمكنة لاختبائهم، وليس من المستبعد أنّ قسماً منهم استمرّ بالتوجّه إلى أبعد مكانٍ في جنوب البصرة، متّخذاً غابات النخيل سكناً له؛ ليكون أكثر أمناً من

(١) يُنظر: علي نعمة الحلو، الأحواز(عربستان في أدوارها التاريخيّة)، القسم الأوّل من الجزء الثاني: ص٧٢.

تلك الأخطار. ومن استقراء الأحداث يمكن القول إنّ معظم المهاجرينَ اتّجهوا نحو الشرق، ومنها ما ذكره ابن بطّوطة عن قبر (طلحة بن عبيد الله)، الذي كان في وسط المدينة، وقبر الزبير الذي كان خارج سور البصرة[١].

ويعني ذلك تقلّص نطاق المنشآت السّكّانيّة؛ إذْ أصبح قبر طلحة خارج المدينة، وسبب ذلك يعود إلى قلّة الاستيطان في المدينة، أو ربّما هجرة السّكّان إلى مكانٍ آخر.

وكانت أسرة آل مغامس المنتفكيّة الرائدة في مجال نقل مركز البصرة، عندما اتّخذتْ قرار الانتقال إلى البصرة الجديدة (البصرة الثانية)، وتبعتها الأُسَرُ الأُخَرُ الكبيرة، ومنها: أسرة آل عبد السّلام (أسرة بيت باش أعيان فيما بعد)، والأسرة الرّفاعيّة (أسرة النقيب)، إلى المناطق القريبة من نهر العشّار، وقبلهما قام الكثير من أتباعهما بالاستقرار في تلك المناطق[٢].

---

(١) يُنظر: رحلة ابن بطّوطة: ص٢٠٨.

(٢) يُنظر: عبد القادر باش أعيان، مخطوطة تاريخ البصرة الكبير، المكتبة العبّاسيّة في البصرة، ج٦، ورقة (٢٧).

ويُورد لنا الشّيخ (ياسين باش أعيان) رواية تتضمّن هجرة عائلته – آل عبد السّلام- إلى البصرة الثانية، محدِّداً أوائل القرن الخامس عشر الميلاديّ زمناً لتلك الهجرة، وذكر أنّها استقرّتْ في مكان أطلقوا عليه اسم (المشراق)، وكان ذلك في عهد جدّهم الشّيخ (ساري)[١].

ولا يمكن الجزم بأنّ الهجرة اتّجهتْ إلى مكانٍ واحدٍ بعينه، كالمشراق، أو القبلة، فالانتقال تمّ تدريجيّاً إلى الشّرق، وليس إلى الشّمال الذي كانت تملؤه المستنقعات (الأهوار)، وكان أقرب مكان لمدينتهم الأولى يُسمّى قرية(نهر ذراع)، نسبة إلى نهرٍ صغيرٍ كان موجوداً آنذاك، ولم تحدِّد المصادر المتداولة مكان تلك القرية، وربّما كانت موجودة على القرب من قبر طلحة، أوفي أطراف نهر العشّار آنذاك، ولعلّ أهالي تلك القرية شقّوا نهراً لقريتهم من نهر العشّار[٢].

---

(١) يُنظر: ياسين باش أعيان، مخطوطة بلوغ المرام في مناقب آل عبد السّلام، ورقة (٥).

(٢) يُنظر: يحيى بن إبراهيم البصريّ، تمائم الدّرر في مناقب السّادات الغرر،

لكنّ ذلك لا يعني أنّ قرية (نهر ذراع) أوّل مكانٍ انتقل إليه أهالي البصرة؛ إذْ تذكر المصادر أهالي قرية ذراع جنباً إلى جنب مع أهالي سكّان البصرة المهاجرينَ إلى البصرة الثانية في المشراق والمحلّات المجاورة لها[1].

ويصحُّ القول إنّ قسماً من أهالي البصرة الأولى فضّل السّكن بالقرب من مدينتهم في قرية (نهر ذراع)، الذي يكفي لريّ مزروعاتهم وأمورهم الحياتيّة الأُخَر.

وخلاصة القول إنّ الهجرة تمّت في العقود الأولى من القرن الخامس عشر الميلاديّ بشكلٍ بسيطٍ، وإنّ المهاجرينَ اتّخذوا عدّة أماكن في شرق المدينة وجنوبها الشرقيّ، منها قرية ذراع، ومحلّات المشراق والقبلة، ومقرّ حكم إمارة آل مغامس في محلّة الدّيوانيّة(محلّة الباشا فيما بعد)، وبعض قرى جنوب البصرة، ومنها: مهيجران، ونهر خوز، والسرّاجي، وقدْ أسهمت في تكوين هذه المناطق السّكنيّة أكثر من أُسرةٍ، منها أُسرة آل مغامس

مخطوطة المكتبة العبّاسيّة، رقم (ب١٣٨)، ورقة (٢١٦).

(١) يُنظر: تمائم الدّرر، المصدر السّابق: الورقة (٢١٦).

(آل راشد الطوال)، وأُسرة آل عبد السّلام، والأُسرة الرّفاعيّة، الذين مهّدوا لبناء المدينة بشكلٍ تدريجيٍّ، بنحوٍ أصبحت في منتصف القرن السّابع عشر الميلاديّ مدينةً بارزةً.

كانتْ البدايات الأولى للمدينة الناشئة قلعة صغيرة وسط البساتين، قام أمراء آل مغامس ببنائها، وأطلقوا عليها اسم (الدّيوانيّة)، وربّما كانت أسرة آل عبد السّلام هي الثانية في هذا الأمر، أو متزامنة معها[1].

ازدادتْ المحلّات عدداً وانتشاراً بصورة تدريجيّة، واتّسعتْ المدينة إلى حدٍّ أصبح لها سورٌ يحيط بها، وفيه أربعة أبواب، هي: باب المشراق، وباب البحري، وباب السّيفي، وباب الجبل، فالأوّل يقابل جهة الجنوب، والثاني مقابل الأوّل ويتّجه نحو الشّمال، ومن المستغرب أنْ يُسمّى بهذا الاسم؛ إذْ إنّه لا يُطِلُّ على بحرٍ، وربّما قُصِدَ منه الأهوار، والثالث ربّما أُطلق نسبةً إلى مكان تكديس الحبوب (السِّيف)، واستمرّ هذا المصطلح يُستخدم في البصرة حتّى

(١) يُنظر: يحيى بن إبراهيم البصريّ، تمائم الدّرر: ورقة (٣٨)، و (٧١)، وياسين باش أعيان، بلوغ المرام، مصدر سابق: ورقة (٤) و (٦).

النصف الأوّل من القرن العشرين، ويتّجه نحو الشّرق مقابل شطّ العرب، والباب الأخير يتّجه نحو جهة البرّ، وربّما سُمِّي كذلك؛ لأنّه يقابل جهة جبل سنام الواقع غرب البصرة[1].

وقدْ يسأل سائلٌ، لماذا اختير هذا المكان بالذات من دون الأماكن الأُخَر في البصرة للسّكن؟

إنّ المتمعّن بهذا المكان يجدُهُ أكثر ارتفاعاً قياساً إلى الأماكن الأُخَر، وإنّ محلّة المشراق والمحلّات الأُخَر تقع في مكانٍ وسطٍ تقريباً بين المدينة الأولى وبين شطّ العرب، ما جعلها قريبةً من الأولى، حتّى إنّ الإنسان يُمكن أنْ يصلَ إليها على قدميه، وكذلك كانت قريبةً منْ شطّ العرب، الذي ترسو فيه السُّفن التجاريّة.

(١) يُنظر: نعمان بن محمّد بن العراق، الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، تحقيق: محمّد حميد الله، باكستان،١٩٧٣م: ص٧٢.

الأحوالُ السّياسيّةُ

شهدتْ البصرةُ صراعاً على السّلطة في حدود منتصف القرن الخامس عشر الميلاديّ، فقدْ سيطر عليها المشعشعيّون بقيادة (عليّ ابن محمّد بن فلاح)، وقُتل ابنُ حاكمها(طلحة بن مغامس)، وحاكمها(يحيى بن محمّد) في معارك عنيفة، وحكمهم حتّى عام (١٤٩٩م) في البصرة والجزائر، فضلاً عن الأحواز[١].

في عام (١٥٠٨م) استطاع الصّفويّونَ احتلال بغداد، ودخلتْ البصرة هي الأخرى في نطاق السّيطرة الصّفويّة، وبقيتْ حتّى انتصار العثمانيّينَ عليهم في معركة (جالديران) عام (١٥١٤م). لكنّ الهيمنة الصّفويّة لم تكن قويّة بقوّة المشعشعينَ، ونتج عن تطوّر الأحداث وصراع القوى المحلّيّة والإقليميّة، بروز إمارة آل مغامس المنتفكيّة ونجاحها في عهد (محمّد بن مغامس) في السّيطرة على البصرة بعد انتزاعها من المشعشعيّينَ في العشرينيّات

(١) يُنظر: حسين محمّد حسين القهواتي، العراق بين الاحتلالين الأوّل والثاني (١٥٣٤-١٩١٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، أجيزتْ في كلّيّة الآداب، جامعة بغداد،١٩٧٥م: ص ٣٥، ٣٦.

من القرن السّادس عشر الميلاديّ، واستمرّ حكمه لعدّة عقود بمساعدة أخيه (راشد)[١].

ومن المفيد ذكرُه أنّ آل مغامس ينحدرونَ في نسبهم من قبيلة المنتفق التي سبق لها أنْ حكمتْ البصرة عدّة مرّات، وأنّ حكمهم كان حُكماً عربيّاً، يُخالطُهُ ولاءٌ شكليٌّ للفرس[٢].

أمّا من الناحية العمرانيّة، فإنّ المصادر المحلّيّة لمْ تتطرّق إلى البصرة في العقود الثلاثة الأولى من القرن السّادس عشر، ولعلّ الزمن يكشف لنا مصادر جديدة لمعرفة ذلك، وقدْ ذكر لنا بعض الرّحّالة وصفاً موجزاً جدّاً لها، بأنّها بلدة صغيرة محاطة بسورٍ من الطين لم يُرمَّم ترميماً متقناً، وكانت ضاحيتها المطلّة على شطّ العرب- وهي موقع العشّار الحالي- ليس فيها سوى عدد قليل من البيوت، وكان فيها سور يضمُّ داخله عشرة آلاف دار، أغلبها

(١) يُنظر: طارق نافع الحمداني، إمارة آل مغامس العربيّة في البصرة، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، الكويت١٩٨٧م، العدد(٢٧)، ص ٩.

(٢) يُنظر: سليمان فائق، تاريخ المنتفق، ترجمه للعربيّة خلّوصي النّاصريّ، بغداد، (د.ت): ص١٢.

أكواخ من القصب، يعيشُ فيها أصحابها عيشةً واهيةً، لكنّ عدداً من الأبنية الفاخرة كانت تواجه النهر، وأبعد بمسافة ميلين عن شطّ العرب[١].

ولا ينسجم هذا القول مع واقع الحال؛ إذْ وُصفتْ المدينة -كما ذُكِر في الفقرات السّابقة- بالنشاط والحيويّة والعمران، ويبقى ما ذكر هنا مجرّد رؤية لسائحٍ عابرٍ.

فضلاً عن ذلك، فإنّ هناك قرىً زراعيّة متفرّقة في جنوب البصرة، تقطنها مجاميع من السّكّان تمارس نشاطاً زراعيّاً وتجاريّاً معيّناً، وكذلك الحال في مناطق الجزائر (الجبايش) والأهوار، وكلاهما كان ضروريّاً لإدامة الحياة في المدينة.

والجدير بالذكر، أنّ ظهور إمارة آل مغامس تزامن مع ظهور البرتغاليّينَ بوصفهم قوّةً بحريّةً في الخليج، ويبدو أنّ سياسة الأمير (راشد بن مغامس) مع البرتغاليّينَ، واستعماله أسلوب اللّياقة الدبلوماسيّة في تعامله معهم، أبعدتْ خطرهم عن البصرة، فلمْ

(١) يُنظر: جعفر الخيّاط، العراق في العصور المظلمة، بغداد،١٩٧١م: ص٢٣٢.

يحاولوا التعرّض لوضعها؛ كونها مركزاً مفتوحاً لتوزيع منتجات الشرق الأدنى؛ إذْ نقرأ صورة ذلك في نصّ رسالة القائد البرتغاليّ الشّهير (البوكيرك) المؤرّخة في (٢٢ أيلول عام ١٥١٤م)، وقدْ جاء فيها « إنّه يعلم جيّداً أنّ العالم العربيّ والتركيّ والفارسيّ، يتزوّد بالتوابل من البصرة، وأنّه لا يرى في ذلك أيَّ خطرٍ على مصالح البرتغال، ما دامتْ تلك المناطق خارجة عن النفوذ العثمانيّ، ومادامتْ الكمّيّات المحصّل عليها لا تسمح قطّ بمنافسة البرتغال بأروبّة»[1].

إنّ دلالة ذلك تُشير إلى مدى أهمّيّة البصرة التجاريّة، لكونها مركزاً لتوزيع التوابل والسّلع الأُخَر المجلوبة من الهند والصّين إلى الأسواق الإقليميّة المحيطة بالبصرة، ومدينةٌ هذا شأنها لا يمكن أنْ تكون ذات تأثيرٍ محدودٍ.

وفضلاً عمّا تقدّم، فإنّ (راشد بن مغامس) حاول إنشاء أُسطول

(١) يُنظر: أحمد أبو شرب، مساهمة الوثائق البرتغاليّة في كتابة الغزو البرتغاليّ لسواحل المغرب العربي والبحر الأحمر والخليج العربي، مجلّة الوثيقة البحرينيّة، العدد (١٠)، ١٩٨٧م: ص١٧٥.

خاصّ بإمارته، وأفادتْ رسالة حاكم هرمز التي أرسلها إلى الملك البرتغاليّ عام (١٥٢٨م) أنّ (راشداً) حاول إنشاء أُسطول خاصٍّ به، وحذّر من خطورة هذا العمل على النفوذ البرتغاليّ، وطالب بضرورة خضوع البصرة اقتصاديّاً وعسكريّاً لجزيرة هرمز[١].

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ بداية التدخّل البرتغاليّ في البصرة حدث عام (١٥٢٩م)؛ إذْ شاهَدَ أهالي البصرة السّفن البرتغاليّة وهي تدخل شطّ العرب، بناءً على طلب الشّيخ (راشد)- بعد أنْ وعدهم ببعض التسهيلات الملاحيّة والإغراءات الاقتصاديّة- لمساعدته ضدّ خصومه من آل عليّان (إمارة عربيّة قامتْ في الجزائر، وهي تنحدر من قبيلة شمّر الطائيّة، تزعّمتْ عشائر بني سعيد وبني مالك، واتّخذتْ من المّدينة مقرّاً لها)[٢].

وقدْ كان هذا التحالف مبنيّاً على أساس المصلحة الذاتيّة لكلٍّ من الشّيخ (راشد) والبرتغاليّينَ، وليس تحالفاً استراتيجيّاً،

(١) يُنظر: أحمد أبو شرب، مساهمة الوثائق البرتغاليّة: ص١٦١.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٥٦.

والبرتغاليّون يبحثونَ عن كسبٍ جديدٍ في المنطقة[١].

ولابدّ هنا من الوقوف عند احتلال بغداد من قبل العثمانيّينَ بقيادة السّلطان (سليمان القانونيّ) عام (١٥٣٥م)، وعلى أثر ذلك بعثتْ المناطق العراقيّة بالرّسل إلى السّلطان تبايعه باسمها، وتُعلن الخضوع له، وكان منْ ضمنهم الشّيخ (راشد)، الذي قدّم ولاءه للسّلطان عندما بعث ولده (مانع)، ومعه مفاتيح البصرة، دليلاً على تقديم الولاء بشكلٍ رسميٍّ[٢].

ومهما يكن من أمرٍ، فقدْ حصلتْ البصرة على مركز إيالة (ولاية)، وأُعيد تثبيت الشّيخ (راشد بن مغامس) حاكماً عليها[٣].

(١) يُنظر: ويلسون، أرنولد.ت، الخليج العربي، ترجمة: عبد القادر اليوسف، (د.ت): ص٢١٩، و AL-Hamadani .Tarik .H.Nafi.The political Administrative and Economic history of basra Province 1534/1638 .in published Ph.D.Thesis .University of Manchester 1980 p. 40.

(٢) يُنظر: البدليسي، شرفنامة، بغداد، ١٩٥٧م: ٢/ ١٩٦.

(٣) يُنظر: صالح أوزبران، الأتراك العثمانيّونَ والبرتغاليّونَ في الخليج العربي(١٥٢٤-١٥٨١م)، ترجمة: عبد الجبّار ناجي، بغداد، ١٩٧٩م: ص٢٩.

بعد وفاة (راشد) وأخيه (محمّد)، جاء إلى الحكم (مانع بن راشد)، الذي لم يحكم إلّا أشهراً قليلة؛ لأنّ مجلس أعيان البصرة اتّخذ قراراً بأنْ يتنازل الشّيخ (مانع) لابن عمّه (يحيى بن فضل)، ويبدو أنّ الشّيخ (مانع) كان متساهلاً مع العثمانيّينَ، وإنّ الشّيخ (يحيى) حين تولّيه الحكم اتّخذ موقفاً متشدّداً ضدّ السّلطة العثمانيّة في بغداد، ولمْ يشأ- حسب قوله- أنْ يسلّم إمارة أجداده إلى العثمانيّينَ: «أُقسم أيماناً لا أرفع اسم أبي وأجدادي عن الخطابة والسِّكّة، وما قضاه الله فهو كائن»[1].

ونتيجة إلى رغبة السّلطان العثمانيّ بتحجيم سلطة إمارة آل مغامس، فقدْ قرّر إنهاء حكمها، إلّا إنّ الشّيخ (يحيى) اتّبع سياسة جمع القوى المحلّيّة ضدّ العثمانيّينَ، فتحالف مع السيّد (عامر) أحد أمراء المشعشعينَ، ورحّبَ بالموقف الإيجابيّ لأهالي الجزائر، المتمثّل بمساندة (عبد الحسين آل عليّان) لجيش آل مغامس، إلّا إنّ هذا الجمع لم يستطع الوقوف بوجه القوّات العثمانيّة الكبيرة؛ إذْ

(١) يُنظر: يحيى بن إبراهيم البصريّ، تمائم الدّرر: ورقة (٨١).

انسحبتْ من ساحة المعركة، واختفتْ في أعماق الجزائر، وكذلك انسحبتْ قوّات آل مغامس إلى داخل بادية البصرة، وعلى إثر ذلك دخلتْ القوّات العثمانيّة بقيادة (إياس باشا) إلى مركز مدينة البصرة في(١٥ كانون الأوّل ١٥٤٦م)، وبعد استتباب الأمن في البصرة، رجع (إياس باشا) إلى بغداد، وتمّ تعيين (بلال محمّد باشا) ليكون أوّل باشا عثمانيّ على البصرة[١].

التقسيماتُ الإداريّةُ

إنّ تقسيمات البصرة الثانية في عهد إمارة آل مغامس استمرّتْ خلال العقود اللّاحقة، وامتدّ بعضها حتّى بعد السّيطرة العثمانيّة عليها، ولمْ تأخذ البصرة صفتها الحقيقيّة كإيالة (ولاية) عثمانيّة إلّا في عام (١٥٥٢م)، حينما قُسِّمتْ إلى ثمانية ألوية وثلاث نواحٍ، هي: لواء البصرة (مركز الولاية)، وشرش، وغرّاف، وصدر السّويب، وزكيّة، ومحرزي، وقبّان، وقطيف، ونواحي العشّار هي ناحية الشّمال (يعني بها شمال مركز الولاية حتّى الدّير)، وناحية

(١) يُنظر: أوزبران، الأتراك العثمانيّونَ والبرتغاليّونَ في الخليج العربي: ص٣٢، والحمدانيّ، AL-Hamadani ob.cit، p: ٢٣-٢٥.

خلق (لم يتّضح مكانُها)[١].

ولم تخضع الجزائر التابعة لإمارة آل عليّان لهذا التقسيم.

أجرى العثمانيّون تقسيماً إداريّاً آخر على لواء البصرة في عام (١٥٥٥م)، وأيضاً في عام (١٥٧٢م)، بحيث أصبحتْ تضمُّ ثمانية عشر لواءً[٢].

ويُلاحظ على هذه التقسيمات زيادة الألوية في مناطق شمال البصرة، في حين لم يرد أيُّ شيءٍ بصدد التقسيم الإداريّ لجنوب البصرة، عدا ذكر لواء أبي الخصيب[٣].

وربّما بقيتْ منطقة جنوب البصرة تابعة لمركز الإيالة؛ لقلّة الاستثمار الزراعيّ فيها بداية السّيطرة العثمانيّة، لكونها أشبه

---

(١) يُنظر: علي شاكر علي، التنظيمات الإداريّة في إيالة البصرة خلال النصف الثاني من القرن السّادس عشر، مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربيّة، العدد (٣٥)، ١٩٨٣م: ص١٢٩.

(٢) يُنظر: خليل علي مراد، تاريخ العراق الإداريّ والاقتصاديّ في العهد العثمانيّ(١٧٥٠، ١٦٣٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، أُجيزتْ في كلّيّة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥م: ص٥٦.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ص٨٥.

بالمستنقعات.

إنّ التوسّع العمرانيّ في ولاية البصرة انتعش مع فترات الاستقرار السّياسيّ النسبيّ، وخاصّة في عهد إمارة أفراسياب (١٥٩٦-١٦٦٨م)، التي شهدتْ ولاية البصرة في عهدها نموّاً وتسابقاً في بناء القلاع والأسوار وشؤون العمران الأُخَر، لمْ تشهدها حتّى الحِقب اللّاحقة من حكم العثمانيّينَ فيها، وكانت حصّة مركز الولاية كبيرة في ذلك[1].

المنشآتُ الحكوميّةُ

ذكرنا -سابقاً- أنّ البدايات الأولى لتأسيس المراكز السّكنيّة في (البصرة الثانية) كانتْ في تأسيس المحلّات، ومنها: المشراق، وكذلك محلّة الدّيوانيّة، التي عُدّتْ مركزاً لحكم إمارة آل مغامس، وحدَّد المؤرّخونَ موقعها على الضّفّة الجنوبيّة الشّرقيّة من نهر العشّار، على بعد يقدَّر بستّة كيلو مترات من ضفّة شطّ العرب

(١) يُنظر: عبد اللّطيف ناصر الحميدان، مخطوطة علي بن عبد الله الموسويّ، محتواها وأهمّيّتها كمصدر تاريخيّ، المجلّة التاريخيّة المغربيّة، العدد(٢٩ و٣٠)، ١٩٨٣م: ص١٨٧.

الغربيّة[١].

وعند احتلال العثمانيّينَ البصرة أنشؤوا لولاتهم مقرّاً خاصّاً سُمِّي (السّراي) في مكانٍ يبعد عن مقرّ حكم آل مغامس حدود كيلو متراً إلى جهة الشّمال، واشتهر فيما بعد باسم (حوش الباشا)؛ نظراً إلى كونه المقرّ الرّسميّ للولاة العثمانيّينَ في البصرة[٢].

وقدْ استرعى هذا البناء انتباه الرّحّالة الأجانب الذين زاروا مركز المدينة في تلك المدّة.

ويبدو أنّ أسرة آل أفراسياب اهتمّتْ كثيراً بهذا الموقع من ناحية المظهر والعمران، فتمّ بناء عدّة قصور بقربه، وأوجدوا ساحةً كبيرةً مقابله، وُضعَ فيها اثنا عشر مدفعاً، ويُحيط بها حرسٌ من الفرسان من حَمَلَة البنادق، وكان هناك بالقرب من السّراي دار لسكّ النقود[٣].

---

(١) يُنظر: ياسين باش أعيان، بلوغ المرام، مصدر سابق، ورقة (٩).

(٢) يُنظر: عبد القادر باش أعيان، تاريخ البصرة الكبير، مصدر سابق، ج٦، ورقة (٧٢).

(٣) يُنظر: رحلات جان دي تيفينو (١٦٦٤-١٦٦٥م)، ترجمة وتعليق:

وهناك -أيضاً- (بيت الكمرك)، وهو منشأة حكوميّة بُنيتْ على شكل برجٍ كبيرٍ، يقعُ في نقطة التقاء نهر العشّار مع شطّ العرب، وبالتحديد في الجهة الشّماليّة من نهر العشّار في محلّة المقام، وكان يتوّلى فرض الضّرائب واستيفاءها على البضائع الداخلة إلى مركز الولاية عن طريق نهر العشّار، قبل تفريغها في محلّة المنكسار (المنكسر) جنوب محلّة حوش الباشا[1].

وكانت هناك منشآت عسكريّة، منها (المنّاوي)، التي وُصفتْ بأنّها القاعدة البحريّة العثمانيّة الثانية لهم بعد قاعدة السّويس.

ومن الجدير بالذّكر أنّ المنّاوي أصبحتْ ميناءً لرسوّ السّفن الحربيّة منذُ عهد (راشد بن مغامس)، وأصبحتْ قاعدة في عهد آل أفراسياب؛ إذْ استمرّ البناء فيها في عهد (علي باشا) وابنه (حسين باشا)، فقد بنى الأوّل قلعةً هناك، وأنشأ من بعده ابنه عدّة أبنية عام (١٦٥٦م)، منها قصرٌ فخمٌ، وكان مكاناً للمتعة

أنيس عبد الخالق محمود، بيروت، ٢٠١٣م: ص١٤٤.

(١) يُنظر: رحلات جان دي تيفينو: ص١٤٥.

والاستجمام[١].

والجدير بالذكر-أيضاً- أنّ هذه المنشآت التي شيّدها (حسين باشا) أصبحتْ نواةً لمحلّةٍ سكنيّةٍ فيما بعد، سُمّيت (المنّاوي)، وقدْ ذكرها الرّحّالة في القرن الثامن عشر ضمن محلّات البصرة السّكنيّة.

لم تقتصر المنشآت على ما ذُكر، فهناك منشآت اتّخذتْ طابعاً حربيّاً، مثل القلاع التي بُنيت في مناطق مختلفة من البصرة، فالقُرنة كانت في بداية القرن السّابع عشر قلعةً صغيرةً، ومركزاً لجباية الضّرائب، وصفها الرّحّالة الذين مرّوا بها منذ القرن السّادس عشر، وحينما تمّ احتواء منطقة الجزائر في عهد (علي باشا) عام(١٦٣٣م)، أصبح للقُرنة دورٌ أكبر من السّابق، بل يمكن القول إنّها أصبحتْ مركزاً قياديّاً في عموم الولاية، وسُمِّيت بـ(العليّة) نسبة إلى (علي باشا أفراسياب)، وحظيتْ بزيادة العمران وبناء القلاع في عهد (حسين باشا)؛ إذْ اتّسع عمرانها

(١) يُنظر: أوزبران، الأتراك العثمانيّون والبرتغاليّون في الخليج العربي: ص٢٥، وتيفينو، المصدر السّابق: ص١٤٥.

وتحصينها، واختار للدّفاع عنها مجموعةً من القوّات، قُدِّرتْ بستّة آلاف مقاتل[١].

ميناءُ السرّاجيّ

كانت السرّاجي ميناء البصرة الرئيس منذ القرن السّادس عشر، وحتّى القرن التاسع عشر؛ إذْ ترد السُّفن من الهند والخليج العربيّ لتُفرغ حمولتها في هذا الميناء من السّلع المختلفة، وتقوم بشراء السّلع والتمور والخيول لشحنها إلى تلك الدّول، وتتحوّل بعض أرصفة وساحات هذا الميناء -أحياناً- إلى أماكن للبيع والشّراء، وأصبح الميناء في عهد (حسين باشا) يعجّ بالحركة والنشاط، حتّى إنّ عمّال الميناء كانوا يقومونَ بتفريغ حمولة مائتي سفينة في خلال شهر[٢].

---

(١) يُنظر: فتح الله بن علوان الكعبيّ، زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، بغداد، ١٩٥٨م: ص٣٩، والحميدان، مخطوطة عليّ بن عبد الله الموسويّ، محتواها وأهمّيّتها كمصدر تاريخيّ: ص١٨٨.

(٢) نقلًا عن: طارق الحمداني، الرّحّالة البرتغاليّونَ في الخليج العربي خلال القرنين السّادس عشر والسّابع عشر، مجلّة الوثيقة، البحرين، العدد (١٥)، ١٩٨٩م: ص١٧٣.

وعند تحويل هذا الرقم إلى ما يتمّ تفريغه من السُّفن يوميّاً، فإنّه يكون بحدود سبعة سفنٍ يوميّاً، وإذا ما عرفنا أنّ أكبر حمولة للسّفينة الواحدة -آنذاك- هي مائة وخمسونَ طنّاً، فمعنى ذلك أنّ عمّال الميناء يقومون بإنزال ما يقدّر بـ (٩٠٠) طنٍّ من البضائع يوميّاً.

القلاعُ العسكريّةُ

ومن المنشآت التي لها صفة دفاعيّة، التي تمّ بناؤها في عهد (علي باشا أفراسياب) قلعة (كردلان)، التي تقع في الجهة الشرقيّة من شطّ العرب، مقابل نهر العشّار، وقدْ نوه بها المؤرّخونَ بكونها أحد القلاع المهمّة في تلك الجهة، وربّما كانتْ مركزاً لاستيفاء الضّرائب من أهالي القرى التابعة لشطّ العرب، ويبدو أنّ النشاط الاستيطانيّ تزايد فيها؛ إذْ أصبحتْ قرية كبيرة في عام (١٦٦٨م)، ولعلّها أصبحتْ فيما بعد متنزّهاً ومكانَ استجمامٍ لبعض الأُسر البصريّة[١].

(١) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشّاهد الجلي في مناقب الشّيخ علي، مخطوطة المكتبة العبّاسية في البصرة، ورقة (١٠٤).

ومن القلاع المهمّة الأُخَر، قلاع المَدَيْنَة والفتحيّة والمنصوريّة، وغيرها من قلاع منطقة الجزائر. وفي السّياق نفسه ينبغي إعطاء قلعة (الزكيّة) أهمّيّة خاصّة؛ لكونها توجد في أقصى الحدود الشماليّة لولاية البصرة، وفي مكانٍ يُشرف على الملاحة النهريّة الآتية من بغداد عَبر نهر دجلة[١].

ومن الجدير بالملاحظة أنّ الولاة في عهد إمارة آل أفراسياب سمحوا ببناء بعض المقرّات الخاصّة بالشّركات الأجنبيّة التجاريّة، ومنْ ذلك إنشاء شركة الهند الشّرقيّة البريطانيّة مُقيميّةً لها في البصرة عام (١٦٣٥م)، وكذلك إنشاء معمل لتصليح السّفن، وربّما لم تفتح المقيميّة أبوابها فعليّاً إلا في عام (١٦٤٣م)[٢].

لم تقتصرْ المنشآت الحكوميّة على ما تمّ ذكره، بل إنّ عمليّات البناء تزايدتْ، وعلى الأخصّ في زمن حكم (علي باشا أفراسياب)؛ إذْ قام ببناء عدّة بيوت على الضّفّة الجنوبيّة من نهر العشّار، وشرق محلّة حوش الباشا، وأصبحتْ تلك الدّور بمنزلة دور ضيافة

(١) يُنظر: يحيى البصريّ، الشّاهد الجلي، ورقة (١٩٥).
(٢) يُنظر: لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخيّ: ٤/ ١١٦٧.

للشخصيّات والأمراء الذين يلتجئونَ إلى هذه الإمارة من المناطق الأُخَر، وكذلك لتكون دُوراً لأقارب العائلة ومَنْ يلوذ بها من أتباعها[١].

المؤسّساتُ الدّينيّةُ

جامعُ الكوّاز

لاشكّ أنّ المهاجرينَ كوَّنوا لهم - كلٌّ على حدة- مكاناً بسيطاً من القصب وجذوع النّخل للصّلاة، ومن المحتمل أنّ الصّلاة كانت تُقام -أيضاً- في ديوان قلعة آل مغامس.

إنّ المعلومات عن بداية تأسيس جامع كبير في البصرة قليلة، وتقتصر على ما ذكره الشّيخ (يحيى البصريّ) عن دور الشّيخ (محمّد أمين الكوّاز) في بناء مسجدٍ جامعٍ في (البصرة الثانية) بمساعدة الشّيخ (ساري آل عبد السّلام)[٢].

(١) يُنظر: عبد علي بن ناصر الحويزيّ، السّيرة المرضيّة في شرح الفرضيّة، نشرها الأستاذ محمّد الخال، باسم تاريخ الإمارة الأفراسيابيّة، بغداد، ١٩٦١م: ص٣٦.

(٢) يُنظر: يحيى البصريّ، المصدر السّابق، ورقة (٢٤٥).

ولعلّ بناء هذا الجامع كان بمنزلة ردّة فعلٍ على ما قام به والي البصرة (مهّنا بن رحمة) من بناء جامعٍ تُقام فيه صلاة الجمعة، واستطاع الشّيخ الكوّاز - بما له مِن مكانة دينيّة؛ كونه يمثّل رئاسة الطريقة الصّوفيّة (الشّاذليّة)- البدء ببناء الجامع وإكماله قبل أنْ يُكملَ الوالي (مهنّا) جامعه، واستنفرتْ أسرةُ آل عبد السّلام أتباعَها وفلّاحيها ليتمَّ بناء الجامع من الطين غير المفخور في ثلاثة أيّام، ويعلّل (عبد القادر باش أعيان) سرعة البناء، بكثرة الأيدي العاملة، فضلاً عن بساطة البناء، وخلوِّه من الزخرفة، إلا من جدارٍ يُحيطُ بالجامع، وآخر يفصل بينه وبين الحرم، واضطرّ الوالي (مهنّا) إلى مجاراة الشّيخ الكوّاز والصّلاة في جامعه[1].

ومن الجدير بالذكر أنّ الوالي (مهنّا بن رحمة) أكمل بناء جامعه فيما بعد. ومن المحتمل أنّ (جامع العرب) الواقع في محلّة القبلة الحاليّة، هو نفسه موقع جامع الوالي (مهنّا). ويبدو أنّ بناء جامع الكوّاز كان بجهود الشّيخ (محمّد أمين الكوّاز) نفسه؛ إذْ أشرف وشارك في البناء بمساعدة

(١) يُنظر: عبد القادر باش أعيان، تاريخ البصرة الكبير، ج٢٦، ورقة (٣).

آل عبد السّلام وعوائل بصريّة أُخَر؛ لذا فإنّ تسمية الجامع اقترنتْ به بعد البناء مباشرة، وأصبح هذا الجامع - بعد إنشائه - مركزاً رئيساً للطريقة الصّوفيّة (الشّاذليّة) في كلّ ولاية البصرة، ونقطة تجمّع لقافلة الحجّ من البصرة، التي تجمع حجّاج بلاد فارس وما يليها من بلدان[١].

المنشآتُ الاقتصاديّةُ

وُجِدتْ الأسواق في (البصرة الثانية) منذُ انتقال آل مغامس إليها، لحاجتهم لها في التعامل الاقتصاديّ في منطقة جنوب العراق ومناطق الخليج العربيّ، بل إنّ علاقتهم الاقتصاديّة امتدّتْ إلى هرمز وشبه القارّة الهنديّة[٢]، ولم تبينِّ المصادر التاريخيّة طبيعة تلك الأسواق ومواقعها. وعند استيلاء العثمانيّينَ على البصرة، واتّخاذ السّراي مقرّاً لحكمهم، أصبح موقع السّوق إلى الشّرق من ذلك المكان. ويُعدُّ سوق المدينة الرّئيس القريب من مقرّ الحكم، المكانَ الجامعَ لمنتجات المناطق المجاورة؛ إذْ تُجرى فيه عمليّات التبادل،

(١) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشّاهد الجلي، ورقة (٤٧).
(٢) يُنظر: طارق الحمداني، إمارة آل مغامس: ص١١.

أمّا عن طريق البيع أو الشّراء، أو عن طريق المقايضة[١]، والجدير بالملاحظة أنّ الموادّ والبضائع المحلّيّة التي يقومُ أصحابها بجلبِها هي إمّا من جنوب البصرة (أبي الخصيب)، أو منتجات الجزائر وما جاورها، أو ما يأتي به البدو من بادية البصرة، وتتكوّن غالبيّة تلك الموادّ من المنتجات الزراعيّة، ومن الحيوانات ومنتجاتها، ويتمُّ عرض تلك السّلع وبيعها وشراؤها في سوقينِ مهمّينِ، هما: سوق السّراي، وسوق المشراق.

اقتفى سوق المشراق طبيعة الأسواق العربيّة الإسلاميّة من حيث تقسيم السّوق على أقسامٍ متخصّصة، فهناك سوق للبزّازينَ، وآخر لبيع الملابس الجاهزة، وقسم لبيع الأطعمة الجاهزة والموادّ الغذائيّة، وقسم للعطّارينَ، وقسم للخفّافينَ وباعة الكتب وأوراق الكتابة والسِّلع الأُخَر. وهناك أماكن في السّوق، ربّما كانت في نهاية الحوانيت، أو في المناطق المكشوفة بين تلك الحوانيت، اتّخذها البعض مكاناً لشراء السِّلع من شخصٍ ما وبيعها في المكان نفسه[٢].

(١) يُنظر: رؤوف، الحياة الاجتماعيّة في العراق: ص٥٦.

(٢) يُنظر: علي عبد القادر، مناقب الكواوزة، مخطوطة في المكتبة العبّاسيّة،

المراكزُ الخدميّة (الخانات، والحمّامات)

١- الخاناتُ

عَرفتْ المدن التجاريّة، ومنها البصرة الخانات في داخل مراكزها، وعلى طرقها التجاريّة. ويرد على سبيل المثال تفصيل عن بناء الخان في البصرة في (محلّة حوش الباشا)، بأنّه مشتملٌ على خمس حُجَرٍ، وإيوانينِ، وأربعِ غرف، ودَرَجٍ، وكنيفينِ (مرافق صحّيّة)، وسقّخانة، ومطبخ، وحوش مسقّف، ودهليز[1]. ويُمكن إلى حدٍّ ما تعميم وصف هذا الخان على ما كان عليه، أو قريباً منه في القرنينِ السّادس عشر والسّابع عشر.

وتُستعمل هذه الخانات القريبة من الأسواق في المدينة، بوصفها مراكز تجاريّة تُجلب السِّلع إليها، إما من السُّفن التي تصل ميناء السّرّاجيّ، وهي تحمل البضائع التجاريّة القادمة من الخليج، أو منْ نهاية سوق المشراق، حيث مكان إنزال حمولة القوافل

رقم(أ ٣)، ورقة (١٥و٨٣).

(١) يُنظر: سجلاّت المحكمة الشرعيّة في البصرة، سجل رقم (١)، ورقة (٤٥)، سجل رقم(٢٣)، ورقة (١٠٠).

التجاريّة القادمة من حلب، التي يهرعُ إلى شرائها التجّار، بقصد بيعها داخل المدينة، أو نقلها إلى الميناء؛ إذْ يشتريها أصحاب السّفن الرّاسية من التجّار هناك[١]. فضلًا عن الاستعمالات السّابقة للخانات، فإنّ الغُرف(الحُجَر) في تلك الخانات كانت مكاناً لاستراحة التجّار الوافدينَ أو مبيتهم، فتؤدّي وظيفة الفنادق اليوم. أمّا السّاحةُ الداخليّة لتلك الخانات (حوش)، فيكون عادة مكاناً لطرح البضائع من أجل المشاهدة والبيع لتجارة المفرد[٢].

٢- الحمّامات

انتشرتْ الحمّامات العامّة في البصرة، وقصدها النّاس من مختلف الطبقات للاستحمام، خصوصاً أنّهم لم يكونوا قدْ أَلِفُوا -حينذاك- الاستحمام في منازلهم، إلّا للأمور الضّروريّة؛ إذْ لم

---

(١) يُنظر: Chronicle of the Carmalites in Persia and the People mission of the xvill and xvill the centuries , vol . 2 , PP. 83. 88
وطارق الجنابيّ، العمارة العراقيّة، حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥م: ١١/ ٣٥.

(٢) يُنظر: الحميدان، مخطوطة علي بن عبد الله الموسويّ، محتواها وأهمّيّتها كمصدر تاريخيّ : ص١٨٨.

توجد الحمّامات الخاصّة إلّا في قصور الحكّام والأمراء وأصحاب الثراء في المدن، ولمْ تذكر المصادر عدد الحمّامات في المدينة، إلّا إنّ استقراء الوضع آنذاك يشير إلى وجود أكثر من حمّامٍ في المحلّات الكبيرة، أو إنّ كلّ محلّةٍ أو قريةٍ كبيرةٍ لا تخلُو من وجود حمّامٍ فيها[١].

وصف أحدُ الرّحّالة حمّامات البصرة في عام (١٦٠٤م) بالقول بأنّه توجد في المدينة عدّة حمّامات، وهي نظيفة جدّاً ومريحة، وقاعدتها أنْ تُفتح للرّجال حتّى الظهر، وللنّساء من الظهر حتّى المغرب، وإذا خالف أحدُهم ذلك بقصد الإساءة فإنّه يُعاقب بأشدّ العقوبات، وتقدِّم هذه الحمّامات خدمات جيّدة للمسافرينَ[٢]. وبما أنّ للماء قيمةً كبرى في إدامة الحياة، وخاصّة ماء الشّرب في

(١) يُنظر: رحلة تيخيرا، رحلة من البصرة إلى حلب عَبر الطريق البري(١٦٠٤-١٦٠٥م)، ترجمة: د. أنيس عبد الخالق محمود، بيروت، ٢٠١٣م: ص٤٠.

(٢) يُنظر: سجلاّت المحكمة الشرعيّة، سجل رقم (٢٣)، ورقة (١٠٠)، سجل رقم (١)، ورقة (٢٣).

فصل الصّيف الشّديد الحرارة، فقدْ انتشرت الأسبلة (جمع سبيل) خارج البيوت والخانات، لتقديم الماء البارد مجّاناً، وفي أماكن مناسبة؛ إذْ وُضِعتْ جرار كبيرة من الفخّار (حباب) تُملأ بالماء ليلاً، ويُوضع عليها غطاء من الخشب، وفوقه ماعون لشرب الماء اتُّخذ مِن أصداف البحر، أو من النّحاس[1].

أعدادُ السّكّانِ

تُجابه الباحث صعوباتٌ في معرفة أعداد السّكّان في البصرة، وفي بداية الاحتلال العثمانيّ، قامتْ الدّولة العثمانيّة بإجراء أوّل تقسيم إداريّ لها في عام (١٥٥٢م)، وقدْ أسفر عن ثمانية ألوية (سناجق) وثلاث نواحٍ، بدون ذكر أيّ رقمٍ أو تقدير لأعداد سكّانها، وجرى تقسيم آخر عام (١٥٧٥م) قُسِّمتْ البصرة فيه إلى سبعةٍ وعشرينَ لواءً وستِّ نواحٍ، وأولى التقديرات لأعداد

(١) يُنظر: Barkan , O.L"Research on the ottoman Fiscal surveyes,in the studies of the Economic history of the Middle East,from the rise of Islam to the present day-Edited by:M.A.cook(London,1970) P ,171

السّكّان جاء بها المؤرّخ التركيّ (علي لطفي بارخان)، الذي استقاها من السّجلّات الرّسميّة ما بين (١٥٧٠-١٥٩٠م)، وأكّد أنّ الإحصاء يشمل السّكّان المستقرّينَ في البيوت، نقتطع منها ما يخصُّ ولاية البصرة، حسب الجدول الآتي[١]:

الولاية	المسلمونَ		المسيحيّونَ	اليهود	المجموع
	المستقرّونَ	البدو			
البصرة	١٣٤٦٤	٦١٩٧	-	-	١٩٦٦١

إنّ أعداد السّكّان في مركز البصرة وحدها أكثر بكثيرٍ من هذا الرّقم الذي يُورده (بارخان)؛ إذ يُورد لنا الرّحّالة(تيخيرا) تقديراً ثانياً لأعداد السّكّان في مركز الولاية عام (١٦٠٤م)، قدّر فيه عدد بيوتها بحدود (عشرة آلاف) بيت، تضمّها أسوار المدينة آنذاك، أي إنّ أعداد السّكّان تبلغ حدود خمسينَ ألف نسمة في بداية القرن السّابع عشر[٢]، إذا ما اعتمدنا خمسة أشخاصٍ لكلِّ

(١) يُنظر: رحلة تيخيرا: ص١٠٨.

(٢) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص٢٤.

بيت، (وهذا المعامل اعتاد باحثو التاريخ الاجتماعيّ استعماله لكلّ بيت آنذاك)، وليس من المستبعد أنْ تتزايد أعداد السّكّان في المدينة، نتيجة لبروز أهمّيّتها التجاريّة والاستراتيجيّة بمرورِ الزّمن.

محلّاتُ البصرةِ

عُدّتْ (المحلّة) الوحدة الأساس للمدينة العراقيّة، ولمْ تشذّ مدينة البصرة عن ذلك، فقدْ تكوّنتْ المدينة من عددٍ من المحلّات، وتفاوتتْ حسب حجمها وقابليّتها على الاتساع. احتوتْ كلُّ محلّة على شارعٍ رئيس أو أكثر، وعددٍ كبيرٍ من الأزقّة الصّغيرة الملتوية المتّصلة بها، وقسمٌ من هذه الأزقّة مغلق في نهايته، وتُسمّى هذه الأزقّة -أحياناً- بالعقود أو (الدّربونة)، وتتّجه مداخل الدّور إلى هذه العقود أو إلى الشارع الرئيس نفسه. وفي بداية المحلّة بوابةٌ تُغلق ليلاً. ويُوجد في كلّ محلّةٍ كبيرةٍ مسجدٌ وحمّامٌ ومقهىً خاصٌّ(قهوة)، يجلس فيها أصحاب المحلّة العاطلينَ عن العمل، أو مكان لعقد الصّفقات التجاريّة، أو الانتظار لصلاة الجمعة، كما

توجد في كلّ محلّة عدّة سقّايات (سبيل خانة)[١].

تُنسب المحلّة إما إلى الجماعة التي سكنتها، وبهذا تصبح المحلّة ذات صفات مدنيّة وقبليّة في الوقت نفسه[٢] كمحلّة أهل الدّير، أو تُنسب إلى نقطة دالّة كشجرة، مثل: محلّة العبّاس؛ إذْ كانتْ تسمّى (محلّة توثة العبّاس)، أو تُسمّى نسبة إلى الحِرفة التي تشتهر بها، مثل: محلّة الغزل، والسّيف، وميدان العبيد، وغيرها، أو إلى شخصٍ مشهورٍ فيها، مثل: محلّة محمّد جواد، وحسن دادة، أو تُسمّى نسبةً إلى جهةٍ معيّنةٍ، مثل: محلّة المشراق، والقبلة. ويمكن ترتيب المحلّات زمنيّاً في البصرة ابتداءً منْ بناء آل مغامس قلعة وحولها مقرّ الحكم لهم، سُمِّيت (محلّة الدّيوانيّة)، وانقسمتْ فيما بعد على محلّتينِ، هما: (القبلة، والحدادة)، والأخيرة سُمِّيت بعد ذلك(بالحكّاكة) في عام(١٧٥٦م). وتزامن نشوء محلّة المشراق مع محلّة الدّيوانيّة، وانقسمتْ المشراق فيما بعد على سبعة محلّات، هي: المجموعة، والمقيبرة (تصغير مقبرة)، وبستان قصب، والفحّامة،

(١) يُنظر: رؤوف، الحياة الاجتماعيّة في العراق إبّان عهد المماليك: ص٦٧.
(٢) يُنظر: عبد الواحد باش أعيان، زبدة التواريخ، ج١، ورقة (١٣٣).

والبند، وحسن دادة، ومرجان[١].

وليس من المستبعد أنْ تكونَ حاجة المدينة التجاريّة قدْ دعتْ إلى إنشاء محلّة تلبّي هذه الحاجة، فنشأتْ (محلّة السِّيف) بصفتها محلّة أخرى إلى الشّمال من محلّة المشراق، كذلك يمكن عدّ محلّة (المناخ) في نهاية محلّة المشراق من جهة الغرب محلّة تجاريّة موسميّة، يستقبل أهلها التجارة الآتية من حلب والجزيرة العربيّة، ويهتمّونَ بتلبية حاجاتهم[٢].

وتزايد نموّ تلك المحلّات تدريجيّاً، وأنشئتْ محلّات جديدة، مثل: محلّة (السّاعي)، التي تُذكر أحياناً باسم (محلّة قرية السّاعي)؛ وذلك لكونها قرية زراعيّة من جهة، وقريبة من مركز الولاية من جهة أخرى، ويمكن تحديد موقعها في الجهة الشّماليّة من نهر العشّار(إلى الغرب من ديوان محافظة البصرة الحالي)، التي كانت موجودة قبل الاحتلال العثمانيّ للبصرة، واقترنَ اسمُها أحياناً بالشّيخ (جبارة الريّان)، أحد مريدي (محمّد أمين الكوّاز)،

(١) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشّاهد الجلي، ورقة (١٢٣).
(٢) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (١٠٧).

واتّسعتْ بعد وفاته[١]، واستمرّتْ في الوجود حتّى الوقت الحاضر.

تألّفتْ المحلّات بتكوينها السّكّانيّ من خليط من العناصر البشريّة، جاء بعضها من البصرة الأولى، والبعض الآخر أتى من شمال البصرة، من منطقة الدّير في عهد الإمارة الأفراسيابيّة، ليكونوا القوّة الضّاربة لهذه الإمارة في مركز الولاية، كونهم أقارب حكّام الإمارة؛ لأنّ (أفراسياب) تزوّج منهم، وأُنشِئتْ محلّة باسمهم، وهي محلّة (السّيمر)[٢].

أسوارُ البصرةِ

كان للأسوار وظيفةٌ دفاعيّةٌ في تخطيط المدن الإسلاميّة في عهودها المختلفة، ولمْ تشذَّ البصرة في العهد العثمانيّ عن ذلك، فقدْ تمّ بناؤها بشكل قلعةٍ ومحلّةٍ صغيرةٍ أُحِيْطتا بسور، ودَعَتْ الحاجة إلى مدّ هذا السّور ليضمّ أكثر منْ محلّةٍ في بداية القرن

(١) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص١٦.

(٢) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص١٦.

السّادس عشر، ويُرجَّح أنّه وصل إلى محلّة السِّيف، ويمكن متابعة ترسيم خطّ هذا السّور ابتداءً من غرب محلّة الدّيوانيّة والمشراق، بحيث يمتدّ بمحاذاة نهر العشّار من جهته الجنوبيّة إلى نهاية محلّة السِّيف، ومن جهة الغرب يمتدُّ نحو الجنوب، ثمّ الشرق بمحاذاة نهر الخورة، إلى أنْ يصلَ إلى جنوب محلّة ميدان العبيد، وقدْ يمتدُّ شمالاً ليلتقي مع امتداد السّور الأوّل بعد نهاية محلّة السِّيف[١].

وفي عهد (عليّ باشا أفراسياب) تمّ بناء أسوار للمدينة على شكلٍ مستطيلٍ غير منتظم؛ بسبب محاذاة الأسوار مع نهري الخورة والخندق؛ إذْ يكون السّور الأوّل في الضِّفة الشّماليّة لنهر الخورة جنوب محلّة المشراق، ويستمرّ شرقاً إلى أنْ يصلَ مقابل محلّة (توثة العبّاس) (العبّاسيّة حاليّاً)، والسُّور الثاني يبتدئ من نهاية السّكن، أي: غرب محلّة نظران جنوب نهر الخندق، ثمّ يتّجه شرقاً إلى أنْ يصلَ إلى نهاية محلّة السّاعي، وقدْ تمّ بناء سورٍ يربط نهايتي السّورين من دون تحصينات؛ ربّما لقربها من القاعدة العسكريّة في المنّاوي[٢].

(١) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص١٦.

(٢) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص٢٣، ٢٤.

وشهد بناء الأسوار في عهد (حسين باشا) حركة دائبة؛ إذْ زاد في قوّة الأسوار السّابقة، ومِنْ ثَمّ مدّها باتجاه الشرق، بحيث وصل السّور الأوّل قريباً من شطّ العرب، ولزيادة التحصين في المنّاوي فقدْ أُحيطتْ بسورين، وأَكملَ امتداد السّور الثاني بحيث أوصلَه إلى نقطةٍ تقع إلى الشّمال من محلّة المقام، ثمّ ينعطف السّور باتجاه الجنوب إلى ضفاف نهر شطّ العرب[١].

وفي عام (١٧٦٥م) تمّ حفر قناة في جهة الغرب تُكمل مسيرة النهرين، بحيث أُحيطتْ المدينة بالمياه بشكلٍ تامٍّ[٢].

والجدير بالذكر أنّ تلك الأسوار كانتْ لها أبواب، وفي البداية كان للأسوار بوّابتان، هما: بوّابة بغداد، وبوّابة الزبير، وفي القرن الثامن عشر حدَّد الرّحّالة (نيبور) خمس بوّابات للأسوار، هي: باب الرِّباط، وباب الزبير، وباب بغداد، وباب المجموعة، وباب السّرّاجيّ[٣].

---

(١) يُنظر: عبد الواحد باش أعيان، زبدة التواريخ، ج١٢، ورقة (٦٠).

(٢) يُنظر: كارستن نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربيّة وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ترجمة: عبير المنذر، بيروت، ٢٠٠٧م: ص١٨٣.

(٣) يُنظر: جيمس بكنغهام، رحلة بكنغهام إلى العراق في القرن السّابع

المساكنُ والبيوتُ

تميّزتْ المحلّات البصريّة في مركز الولاية بالتصاق مساكنها، ولمْ يبقَ ما يفصلُها غير الطرق والأزقّة الضّيّقة، وامتاز المسكن في البصرة بجملةِ أمورٍ، وأوّلُ هذه الأمور عدمُ الاهتمام بالمظهر الخارجيّ، ولعلّ الظروف التاريخيّة جعلت تلك المساكن مغلقةً من الخارج ومفتوحةً من الدّاخل؛ لكي توفِّر الحماية لساكنيها من غارات العدوّ آنذاك، وهذه النّاحية ركّز عليها الكثير من الرّحّالة الذين زاروا البصرة بشكلٍ سلبيٍّ، حتّى إنّ بعضهم شبَّه تلك المساكن من الخارج بالسّجون؛ بسبب عدم نفاذ النّور من الشّارع؛ ولافتقارها إلى المظاهر الجماليّة حسب ما يرون[1]. إلا إنّ هذه الصّفة المعماريّة للسّكن، أي: كونها مغلقة من الخارج ومفتوحة من الدّاخل، تجعل المسكن يتميّز بظروفٍ مناخيّةٍ تمكِّن ساكنيها من العيش والعمل بحرّيّة. وعند الباب الرّئيس يظهر الفنّ العربيّ

عشر، ترجمة: سليم طه التكريتيّ، بغداد، ١٩٦٩م: ص٢٦١.

(١) يُنظر: زهير العطيّة، العمارة التراثيّة في محافظة البصرة، آفاق عربيّة، بغداد، العدد (٣)، ١٩٧٩م: ص٩٧.

الأصيل؛ إذْ نجد أبواب البيوت مصنوعةً من الخشب السّميك، تثبّتُ فيه مطرقة تُصنع إمّا على شكل قبضةِ يدٍ، أو شكل رأس حيوانٍ، أو غيرها، تُصنَع من البرونز، وقدْ يكون لبيوت الأثرياء أكثر من بابٍ، الأوّل بابٌ رئيسٌ، والثاني يكون في أحد جوانب البيت لمرور الحيوانات والموادّ التي تُجلب في العربات التي تجرّها الحيوانات، ويُلاحظ استخدام الخطّ والأشكال الهندسيّة والنباتيّة على تلك الأبواب[١].

ويتّصف المدخل (المجاز) إلى البيت بكونِهِ منكسراً حتّى لا يسمح للغريب بالتطفّل على داخل (الحوش)، وبذلك يُعطي لأفراد الأسرة في داخله درجةً من الخصوصيّة والعُزلة تعتزُّ بها العائلة العربيّة. والأمر الآخر هو انكفاءُ المسكن على صحنٍ داخليٍّ (الحوش)، وقدْ أثبت هذا المبدأ أنّه منْ أكثر التصاميم السّكنيّة مطّاطيّة؛ إذْ تُصبِح له إمكانات عالية لسدّ حاجات واستعمالات مختلفة[٢].

(١) يُنظر: خالص الأشعب، المدينة العربيّة، بغداد،١٩٨٢م: ص٣٤.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٧.

ومِنَ المُلاحظ أنّ جدران تلك المساكن تكون عادة سميكةً؛ للتخفيف منْ وطأة الجوّ الحارّ أو البارد. وفي داخل تلك الجدران داخل غرف السّكن تمّ بناء (ملاقف) الهواء (بادكير)، مثل منافذ المواقد في البيوت، تستقبلُ الهواء الرّطب من مصدره في الشّمال الغربيّ، وتوجّهه بعد ذلك إلى غُرف المسكن أو إلى السِّرداب[١].

واستُخدمتْ سطوح المساكن مكاناً لتناول العشاء في فصل الصّيف، وتفصل تلك السّطوح مع مساكن الجيران حواجز عالية تُسمّى (محجّر)[٢].

وتردُ اصطلاحاتٌ مختلفةٌ لأسماء المساكن في البصرة، فـ(المنزلُ)، أكبر وحدة للسّكن في المحلّات، فهو أكبر من البيت، وقدْ يشمل بيتين وملحقاتهما، و(الحوش)، يشتمل على بيت وإيوان، و(البيت)، أصغر وحدة للسّكن[٣].

---

(١) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشّاهد الجلي، ورقة (٥٧).
(٢) يُنظر: سجلاّت المحكمة الشرعيّة في البصرة، سجل رقم ١، ورقة (٥٢).
(٣) يُنظر: حيدر كمّونة، الخصوصيّة التراثيّة لتصميم المسكن العربي، مجلّة التراث والحضارة، العدد (٦، ٧)، بغداد، (١٩٨٤ – ١٩٨٥م): ص١١٩.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه المساكن عادة ما تكون مبنيّة من طابقٍ واحدٍ أو من طابقين، وبمساحات لا تزيد في المعدّل عن مائة متر، وقدْ تصلُ في مساكن الأُسَر الثريّة إلى ما بينَ مائةٍ وخمسينَ إلى مائتي مترٍ مربّعٍ، وتكونُ المساحةُ المبنيّةُ ما بين (٨٠-١٠٠٪) من مجموع مساحة القطعة السّكنيّة، وإنّ هناك مساكن كثيرة لا تزيد مساحة المربّع الواحد منها على خمسينَ متراً مربّعاً، وهذا ما يُشير إلى براعة المهندس المعماريّ الذي حقّق ضمن مساحات قليلة مرافق كافية لسكن عائلة متوسّطة عدد أفرادها سبعة أشخاصٍ[١].

ولا تخلو سجلّات المحكمة الشرعيّة في البصرة من وصفِ وسط البيت (الحوش)؛ إذْ وصفته بذكر حديقة في وسط البيت تكاد تكونُ مزروعةً بالحمضيّات، وربّما تُزرع بالورد، وفي وسط البيت بِركة ماء مستطيلة أو مربّعة أو مضلّعة، ما يُضفِي على البيت جَمَالاً وبَهْجَةً[٢].

إنّ تقسيمَ المحلّات والطبيعة المعماريّة السّابقة للبيوت تكاد

(١) يُنظر: سجل المحكمة الشرعيّة رقم (١)، ورقة (٥٢).

(٢) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشاهد الجلي، ورقة (١٣٠).

تكونُ محصورة في مركز الولاية، ولا يعني ذلك خلوّ أطراف مركز المدينة منْ محلّاتٍ أُخر غير مبنيّة من الطّين أو اللّبن (الطابوق المجفّف في الشّمس)، فهناك محلّات وقرى زراعيّة في الوقت نفسه داخل مركز الولاية وبالقرب من أسوارها كانت توجد فيها بيوت مبنّية من القصب وجذوع النخيل، فمحلّة السّاعي، ومحلّة بلد السّياس، ومحلّة الرّباط، أمثلة على ذلك[١].

الاستيطانُ الرّيفيُّ في جنوبِ البصرةِ وشرقِ شطِّ العرب

لم يقتصر الاستيطان على مركز البصرة، بل شمل ضواحي المدينة وأطرافها، وكانت المنطقة التي تبدأ من نهر الخُورة، ثمَّ تتّجه جنوباً، والتي تسمّى (الجنوب)، كانت موجودة منذ عهود الدّولة الإسلاميّة، وفيها قرى زراعيّة، وظهرتْ في هذه المنطقة تجمّعات سكّانيّة، منها: السّرّاجيّ، ومهيجران، ويوسفان، وحمدان، واليهوديّ، ونهر خوز، وأبو الخصيب[٢].

---

(١) يُنظر: الحيدري، عنوان المجد: ص ١٧٦.

(٢) يُنظر: علي عبد القادر، مناقب الكواوزة، ورقة (٥٧).

تتمّ عمليّة بناء المساكن من قبل أعضاء الأُسر القرويّة، وتكون مادّة البناء حسب وضع الأسرة الماليّ، وفي الغالب تُبنى المساكن من الطّين (الطّوف)، وتسقّف بجذوع النخيل والبواري والقصب، ثمّ يُوضَع الطين عليها. أمّا الأسَر الفقيرة، فتكتفي ببناء بيوتها من القصب (الصّرائف)، ثمّ يُوضَع عليها الطّين ليُكسِبَها قوّةً، ويحمي الأسرة من التقلّبات الجويّة[١].

أشارتْ بعض المصادر التاريخيّة إلى وجودٍ سكّانيٍّ في جنوب البصرة قبل العهدِ العثمانيّ، على شكلِ قرىً صغيرةٍ منتشرةٍ حتّى جنوب نهر أبي الخصيب الحالي، وإنّ بعض الأسَر استوطنتْ بعض القرى في جنوب البصرة بمدّة تقارب القرن قبل الاحتلال العثمانيّ للبصرة، فمثلاً: هاجرتْ أُسرة الدّغمان التي يرجع نسبها إلى قبيلة (قشعم) إلى أبي الخصيب، وسكنتْ (نهر خوز) منذُ عام(١٤٧٠م)[٢]، وإنّ قرىً مثل مهيجران، والسرّاجيّ،

(١) يُنظر: عبد الواحد باش أعيان، مخطوطة زبدة التواريخ، ج١٢، ورقة (٤٢).

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ج١٦، ورقة (٨٠).

استوطنتْها بعض الأُسَر منْ آل راشد - وهم حكّام البصرة قبل الاحتلال العثمانيّ- وترد بعض الإشارات إلى ذلك من العقود الأولى للقرن السّادس عشر[١].

فضلاً عن ذلك، هناك قرىً أُخَر في القرن الثامن عشر، أصبحتْ مراكزَ تجاريّة في جنوب البصرة لنقل التمور إلى مناطق الخليج العربيّ والمدن السّاحليّة الفارسيّة المجاورة، ومنها: نهر خوز، والعاميّة، وجيكور؛ وذلك لوجودها على شاطئ شطّ العرب[٢].

تُورد سجلّاتُ الدّولة العثمانيّة في القرن السّادس عشر الخاصّة بالضّرائب أنّ أبا الخصيب يُعدّ لواءً (سنجقاً)، وأنّ هناك استيطاناً متزايداً؛ إذْ فُرضتْ الضّرائب على السّكّان وعلى نشاطاتهم الاقتصاديّة، فهناك ضرائب على المصبغة، والمجزرة،

---

(١) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (٣٤).

(٢) يُنظر: علي شاكر علي، التنظيمات الماليّة في البصرة خلال النصف الثاني من القرن السّادس عشر، مجلّة المؤرّخ العربيّ، العدد(٧٧)، ١٩٨٦م: ص٨٥.

وعلى الأراضي الخاصّة بالمراعي، وغيرها[١].

ازداد عددُ القرى في عهد الإمارة الأفراسيابيّة جنوب البصرة، بحيث دَعَتْ الحاجة إلى إيجاد مؤسّسة إداريّة وسياسيّة، وتعيين رئيسٍ لها؛ إذْ يرد اسم الأمير (محمود الفرسيّ) في هذا المنصب، وفي المدّة نفسها وُجدتْ مراكز استيطانيّة جديدة على شكلِ قرىً كبيرةٍ، منها: أمّ النعاج، والنّوفليّ، والشّباني[٢].

وفي الجانب الشّرقيّ من شطّ العرب – التابع لولاية البصرة– في العقود الأولى من القرن السّادس عشر، نجد أنّ الاستيطان ابتدأ من جزيرة خضر (عبّادان)، التي كانت منذُ القرن الرابع عشر الميلاديّ قريةً كبيرةً، فيها زاوية للمتصوّفة وأماكن للعبادة، وبقيتْ في القرنين التاليين تحمل الصّفة نفسها[٣].

وبعدَ هذه الجزيرة شمالاً لا نجدُ في ذلك القرن إلا أراضيَ بوراً،

---

(١) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشّاهد الجلي، ورقة (١٥٣).

(٢) يُنظر: يحيى البصريّ، مصدر سابق، ورقة (٢٠٠).

(٣) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص١٨، ويحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (١٤١).

أو مساحات للرّعي تمتدّ حتّى نهر حسن، وكان النشاط الزراعيّ بعده جيّداً؛ إذْ كان فيه مراكز استيطانيّة لابأس بها، أمثال: جزيرة العين(تسمّى الآن الجزيرة)، والكباسيّ، ولم يقتصر الاستيطان في شرق شطّ العرب على القرى التي ذُكرتْ سابقاً، بل وُجدتْ أماكنَ أُخَر، مثل: القبّان، والدورق، وكردلان، التي بُنيتْ فيها قلعةٌ عسكريّةٌ، وشُجِّعتْ الزراعة فيها[1].

الاستيطانُ في أهوارِ البصرةِ

كانتْ الأهوار في زمن الدّولة الإسلاميّة تُسمّى بـ(البطائح)، وكانتْ حدودُها تمتدُّ بين جنوب الكوت والعمارة إلى البصرة، وعند ظهور الإمارة المشعشعيّة مدّتْ نفوذها إلى منطقة الجزائر والبصرة في القرن الرابع عشر الميلاديّ. ويُشير تتابع الأحداث إلى أنّ هناك إمارةً سابقةً على مجيء المشعشعينَ كانت تحكمُ في الجزائر، هي إمارة آل عليّان، وهي إمارة عربيّة وُجدتْ في منطقة الجزائر،

(١) يُنظر: حسين محمّد القهواتي، العراق بين الاحتلالين الأوّل والثاني: ص٣٨٣.

ترجع أُصولها إلى قبيلة (شمّر) الطائيّة، واتّخذت من المدينة مركزاً لها، لا يُعرف عنها الكثير؛ وذلك لفقدان ما كُتِبَ عنها نتيجة حروبها المستمرّة مع أعدائها[١].

وكانت تطمحُ إلى الاستقلال عن القوى الأجنبيّة التي سيطرتْ على العراق آنذاك.

يتّضح من استقراء الأوضاع الإداريّة لولاية البصرة في القرن السّادس عشر، وتقسيمات الإمارة الأفراسيابيّة الإداريّة، أنّ مناطق الجزائر وحافّاتها كانتْ في تلك المدّة أكثر استيطاناً من جنوب البصرة، وتملك الكثير من الثروات الزراعيّة والحيوانيّة، ما جعلها مصدراً لتلك المنتجات إلى مركز الولاية وبعض مناطق الخليج، ولا تتوافر إحصاءات – ولو تقديريّة– عنْ أعداد السّكّان في تلك المنطقة آنذاك، وليس من المستبعد أنْ يكونَ الاستيطان فيها كبيراً نسبيّاً، ويتّضح ذلك منْ أعداد الحملات العسكريّة

(١) يُنظر: جون باتيست تافرنييه، العراق في القرن السّابع عشر، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد، بغداد، ١٩٤٤م: ص٣٥، والحمدانيّ: ص٥١ بالإنكليزيّة.

العثمانيّة الكبيرة التي جُهِّزتْ لقمعهم[١].

وهناك سمةٌ أخرى لا توجد في قرى الجنوب، وتوجد في المراكز السّكنيّة في قرى شمال البصرة، وهي وجود قلعة في كلّ قرية، ويُطلق على أغلب القلاع تسمياتٌ مأخوذة من أسماء أشخاص، أو أماكن، أو حتّى أسماء عشائر، وأهمّ القِلاع كانت في(القُرنة، والمدَيْنَة، والزكيّة).

وقدْ بنى العثمانيّونَ في القُرنة قلعة قويّة لتكون دار مكسٍ (كمارك) على السّفن التي تحملُ السِّلع المتنوّعة إلى مركز البصرة، ووضعتْ فيها قوّاتٌ انكشاريّةٌ بحيث أصبحتْ بمنزلةِ قلعةٍ عسكريّةٍ في شمال البصرة، ويمكن عدّها الخطّ الأوّل للدّفاع عن مركز البصرة[٢].

تنوّعتْ طبيعة السّكن في هذه المنطقة ما بين القلاع التي عُدّتْ مقرّاتِ سكنٍ في وقت الأزمات لرؤساء القبائل، بينما يتمّ السّكن

(١) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص٣٩.

(٢) يُنظر: شاكر مصطفى سليم، الجبايش، دراسة انثروبولوجيّة، بغداد، ١٩٧٠م: ص١٨٤.

في الأوقات الاعتياديّة في بيوتٍ من القصب، وهناك مضيفٌ كبيرٌ لكلّ عشيرةٍ مبنيٌّ من القصب؛ إذْ يؤدّي دوراً مهمّاً في حياة المجتمع؛ كونه مركزاً اجتماعيّاً، ومكاناً للاجتماعات السّياسيّة، ومحكمةَ عدلٍ للعشيرة[١].

الأُسَر البارزةُ في البصرةِ

تكوَّنَ مجتمعُ المدينة الجديدة (الثانية) من الأُسر المتنفّذة والغنيّة، التي كانت موجودة في البصرة الأولى، وكذلك من الأُسر المهاجرة إليها مِنَ المناطق العربيّة المجاورة، فضلاً عن هجرة الجماعات وبعض المجاميع القبليّة التي جذبتْها إلى المدينة عواملُ التطوّر الاقتصاديّ والاستقرار النّسبيّ[٢].

---

(١) يُنظر: عبد الرّحيم عبد الرّحمن عبد الرّحيم، العلاقات الاقتصاديّة والاجتماعيّة بين الولايات العربيّة إبّان العهد العثماني(١٥١٧-١٧٩٨م)، المجلّة التاريخيّة المغربيّة عدد (٢٩-٣٠)، ١٩٨٣م: ص٤١٣-٤١٧.

(٢) يُنظر: محمّد هليل الجابريّ، البصرة خلال العهد العثماني الأوّل، دراسة سياسيّة (١٥٣٤-١٦٣٨م)، موسوعة البصرة الحضاريّة، الموسوعة التاريخيّة، ١٩٨٩م: ص١٩٨.

١- أُسرة آل مغامس

إنّ أوّلَ الأُسَر التي بذلتْ الجهود الكبيرة لبناء المدينة، لكونها الأُسرة الحاكمة، هي أسرة (آل مغامس)، التي تنتمي إلى فرع (آل شبيب) من المنتفق، وترجع في نسبها إلى شرفاء مكّة، ولمْ ينته دورها السّياسيّ والعسكريّ باحتلال العثمانيّين البصرة عام (١٥٤٦م)، فصحيحٌ أنّها انتقلتْ إلى نجد، إلّا أنّها لم تمكثْ إلا مدّة زمنيّة قليلة، وبعدها رجعتْ إلى بادية البصرة، واتّخذتْ لها مقرّاً جديداً في غرب البصرة في منطقة كويبدة (جويبدة)، وبقيتْ تُمارس نوعاً من التأثير على الأحداث في البصرة[١].

وفي عهد (علي باشا أفراسياب) حاولتْ السّيطرة على مركز البصرة -أثناء انشغاله بإخضاع منطقة الجزائر- إلا إنّ مسعاها هذا لمْ يكلَّل بالنجاح[٢].

ويبدو أنّ تعاوناً وانسجاماً قدْ تمَّ ما بين شيوخ آل مغامس في

(١) يُنظر: الحويزيّ، السّيرة المرضيّة في شرح الفرضيّة: ص١٧، ٢٠.

(٢) يُنظر: ياسين بن حمزة الشهابي، أُرجوزة في تاريخ البصرة، دراسة وتحقيق: فاخر جابر مطر، البصرة، ١٩٩٠م: ص٧١.

عهد الشّيخ(حمود بن مانع)، و(علي باشا) سنة (١٦٢٩م)[١].

بعد عودة الحكم المباشر للدولة العثمانيّة إلى البصرة، إثر سقوط الإمارة الأفراسيابيّة عام (١٦٦٨م)، لم نعُدْ نسمع نشاطاً لأسرة آل مغامس إلا في عام (١٦٧٦م)، عندما ورد الشّيخ (محمّد بن راشد) شيخاً للمنتفق، واستمرّتْ قائمة شيوخ المنتفق حتّى بداية القرن العشرين، إلا إنّ الأحداث التي صنعها أولئك الشّيوخ لمْ تكنْ في مركز مدينة البصرة، أو في قلعة (كويبدة) غرب البصرة، بل إنّ مركز القرار لتلك الأحداث بدأ يأتي من الجزائر (الجوازر)، وما يُحيطُ بها[٢]، عندما شكّل أولئك الشّيوخ اتّحاداً قبليّاً، ضمّ في بداية تكوينه قبيلة (بني مالك)، التي كانتْ برئاسة (آل خصيفة)، ومنازلهم في أراضي الشّاميّة، و(بني الأجود-الأجاويد-)، الذينَ

(١) تُنظر تفاصيل ذلك عند: نظمي زادة مرتضى، كلشن خلفا، نقله إلى العربيّة، موسى كاظم نورس، النجف الأشرف، ١٩٧١م: ص ٣٠٨-٣٩٨.

(٢) يُنظر: محمّد بن خليفة النبهاني، التّحفة النبهانيّة في تاريخ الجزيرة العربيّة، البصرة: ١٠/ ٤٥.

يترأّسهم (آل وثال)، ومنازلهم على شطّ الغرّاف (الحي)[١].

٢- أسرةُ آل أفراسياب

بعد اضطراب الأمن في البصرة، ومحاصرة الوالي العثمانيّ في مقرّ الحكم في السّراي الحكوميّ من قبل العشائر الثائرة، اضطرّ الوالي العثمانيّ(علي باشا) إلى القيام بعملٍ غريبٍ، وهو بيع منصب الوالي إلى شخص يُسمّى (أفراسياب) بثمانية أكياس روميّة (الكيس الواحد يُساوي ثلاثة آلاف ليرة محمّديّة)، على أنْ لا يقطعَ الخُطبة باسم السّلطان. وكان (أفراسياب) كاتباً للجند العثمانيّ في البصرة، وقدْ تزوّج امرأةً عربيّةً من منطقة (الدّير) في شمال البصرة[٢].

اختلفتْ الأقوال في تِبيان أصل (أفراسياب)، فالبعض عدّهُ تركيّاً منْ أصلٍ سلجوقيٍّ، والبعض الآخر عدّهُ عربيّاً من بغداد، ومهما يكنْ منْ أمرٍ فإنّ الرّجل ارتبط بالمنطقة وسكّانها، وأنّه

(١) يُنظر: أحمد بن عبد الله الغرابي، عيون أخبار الزّمان من سالف العصور والأزمان، دار المخطوطات في بغداد، رقم ٩٣١١م، ورقة (١٣٤).
(٢) يُنظر: العزّاوي، تاريخ العراق: ٤/ ١٣٩.

لمْ يتّخذْ لنفسه لقباً عثمانيّاً، بل اتّخذ لنفسه لقباً عربيّاً هو(أمير البصرة)، وكذلك فَعَلَ أبناؤه[١].

نجحتْ سياسةُ أسرة (آل أفراسياب) في تثبيت وجودها بوصفها أسرةً حاكمةً في البصرة مدّة اثنين وسبعينَ عاماً (١٥٩٦-١٦٦٨م)، وامتدّتْ سيطرتُها على مناطق الولاية، وعلى الأخصّ الجزائر، التي عجز العثمانيّونَ عن فرض سيطرتهم عليها[٢]. ويمكن تفسير سبب نجاح هذه الأسرة واستمرارها لمدّةٍ تزيدُ على سبعة قرون إلى سياستها الحكيمة، وتنشيطها الحركة التجاريّة، واستثمار الأراضي الزراعيّة، وتمكّنها من صدّ الاعتداءات الخارجيّة، فضلاً عن ذلك فقدْ وَفّقَ آل أفراسياب بين المذاهب الإسلاميّة، فلمْ يتحيّزوا لمذهبٍ ضدّ آخر، فعلى سبيل المثال، كان (علي باشا) يستقبل بالتّرحاب شخصيّات أمثال المفتي (محمّد بن أحمد الحللي)، وهو حنفيُّ المذهب، والشّيخ (طه عبد السّلام)، وهو شافعيُّ المذهب، ويقبل ما يطرحونه من آراء،

(١) يُنظر: الحويزيّ، السّيرة المرضيّة: ص٣٣.

(٢) يُنظر: يحيى بن ملاّ خليل البصريّ، الشّاهد الجلي، ورقة (١٤٩).

بل ويقبل وساطتهم في بعض الخارجينَ على الإمارة، ويستقبل الشّيخ(عبد الله الحلّي)، من علماء المذهب الشيعيّ، وقدْ جاء من العتبات المقدّسة في كربلاء المقدّسة، ورحّبَ به كثيراً، وأصبح أحدَ مستشاريه المقرّبينَ[١].

٣- أُسرة آل عبد السّلام (بيت باش أعيان)

جاءتْ تسميةُ هذه الأسرة نسبةً إلى جدّها الشّيخ (عبد السّلام الكبير ابن الشّيخ ساري)، وقدْ انتقلَ معَ والده وأُسرتِهِ منَ البصرةِ الأولى إلى البصرةِ الثانية، واستقرّوا في محلّة المشراق، وقدْ انصرفَ كبار رجال الأُسرة إلى دراسة العلوم الدينيّة، وتقديراً لمنزلتِهم الدّينيّة، أصدر السّلطان (سليمان القانونيّ) فرماناً (مرسوماً سلطانيّاً) خلع فيه على الشّيخ (عبد القادر) لقب (شيخ المشايخ)[٢]، وقدْ تعزّز هذا اللّقب أكثر بعد توليّ الشّيخ (عبد السّلام بن عبد القادر) رئاسة (الطريقة الشّاذليّة الصّوفيّة)،

(١) يُنظر: العزّاوي، تاريخ العراق: ٥/ ٨٢.
(٢) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص٣١.

واستمرّ هذا اللّقب يُطلق على الأسرة من الناحية الرسميّة حتّى بدايات القرن الثامن عشر، حين تمَّ استبداله بلقب (باش أعيان)، أي: كبير الأعيان، كما لُقِّب أفراد الأسرة أيضاً بـ (الكواوزة)، وذلك؛ لأنّ الشّيخ (عبد القادر) كان أحد مريدي الشّيخ (محمّد أمين الكوّاز)، شيخ الطريق الشّاذليّة[1].

ينتهي نسب هذه الأُسرة – كما ورد في مصادرها – إلى الحاكم العبّاسيّ المستضيء بالله (ت٥٥٦هـ) عن طريق ابنه الأمير هاشم، ولكنّ لقب العبّاسيّ لمْ يظهرْ مضافاً إلى أسماء شخصيّات الأُسرة عندما كانوا في البصرةِ الأولى، ولا عند انتقالهم إلى البصرة الثانية[2]، وربّما أنهّم قدْ رأوا أنّ الظروف السّياسيّة –آنذاك– لا تتماشى مع ذلك، وأنّ لقبَي(آل عبد السّلام والكواوزة) كانا أكثر أهمّيّة في المجتمع –حينذاك–، وقدْ بقيتْ هذه الأسرة تحظى

(١) يُنظر: حسّون كاظم البصريّ، ذكرى فقيد الأمّة والوطن المغفور له صالح باش أعيان، بيروت، ١٩٤٩م: ص١٠.

(٢) يُنظر: يوسف زادة علي سليمان، الدّرّ المنضّد في مناقب السيّد أحمد ووالده الممجّد، القاهرة، ١٩٠٦م: ص ١٠.

بمكانة كبيرة في المجتمع البصريّ حتّى منتصف القرن العشرينَ.

٤- الأُسرةُ الرّفاعيّةُ

تنتسبُ هذه الأسرة إلى السيّد (أحمد بن عليّ الرفاعيّ)، الذي يرجعُ نسبه إلى الإمام (عليّ بن أبي طالبٍ عليه السلام).

ولد السيّد (أحمد) في قرية (أمّ عبيدة)، وكان عمره عند وفاة والده سبع سنين، واشتهرَ منذُ صغره بالعبادة والزهد، وبعد أنْ بلغ الخمسينَ منْ عمره عُهد إليه برئاسة الطّريقة الصّوفيّة[1]، وكان قدْ سكن البطائح في قرية (أم عبيدة)، وفي حقيقة الأمر أنّ (أحمد الرفاعيَّ) لم يُعقِب، وإنّما العقِب لأخوته وأولادهم الذين تزوّجوا من ابنتيه (زينب وفاطمة)، وقدْ توارث أولادُ ابنتيه المشيَخة في جنوب العراق، وفي البصرة بشكلٍ خاصٍّ، منذُ القرن الحادي عشر الميلاديّ. وقدْ اكتسبتْ الأسرة احتراماً كبيراً من قبل السّكّان بمرور الزمان؛ نتيجة لترأّسها نقابة الأشراف في البصرة

(١) يُنظر: عماد عبد السّلام رؤوف، التنظيمات الاجتماعيّة، حضارة العراق: ١٠/ ١٤٠.

طول العهد العثمانيّ[١].

كان مكان سكن هذه الأسرة قريباً منْ محلّة القبلة المجاورة لمحلّة الدّيوانيّة، أمّا سكنهم الرّيفيّ، فقدْ كان قرية (السّبيليّات) في قضاء أبي الخصيب، الذي كان -أيضاً- مقبرةً لشخصيّات الأسرة منذُ القرن الحادي عشر الميلاديّ.

وقدْ أدّتْ هذه الأسرة دوراً واضحاً في الأحداث السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في البصرة، حتّى قبل احتلال العثمانيّينَ لها؛ لذا فإنّ العثمانيّينَ قدّروا أهمّيّة الأسرة الدّينيّة، وصادقوا على تثبيتها في رئاسة نقابةِ الأشرافِ.

٥- الأسرةُ الرّدينيّةُ

تنتسب هذه الأسرة إلى الإمام عليّ بن الحُسين السجّاد عليه السلام، وقدْ جاءتْ تسمية الأسرة نسبة إلى بلدة (رُدين) في المدينة المنورة، سكنتْ الأسرةُ في وادي (سردد) في الأحساء، ثمّ انتقلتْ إلى البصرة، واتّخذتْ من قرية الشّبانيّ، في جنوب أبي الخصيب مركزاً

(١) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (٦١).

لها، وكان زعيم الأسرة -آنذاك- الشّيخ (إبراهيم الرّدينيّ) في العقد الثالث من القرن السّادس عشر الميلاديّ[١].

اتّسعتْ دائرة العلاقات الاجتماعيّة لهذه الأسرة إثر زواج أحد أفرادِها من ابنة الشّيخ (حبيب الله الكازرونيّ)، أحد متصوّفة البصرة المعروفين، ووسَّع هذا من صِلاتها الاجتماعيّة والدّينيّة في البصرة، ورعى السّلاطين العثمانيّونَ هذه الأسرة ذات الاتجاه الصّوفيّ، فتمّ إعفاءُ أملاكِها من الضّرائب[٢]. وربّما كان لبعض شخصيّات الأسرة ظروفها التي تُشابه ما قام به بعض شخصيّات الأسرة الرفاعيّة في الانتقال والسّكن خارج العراق؛ إذْ هاجر السيّد (إبراهيم الرّدينيّ) إلى مصر عام (١٦٨٦م) وتوفّي هناك، وهاجر السيّد(محمّد الرّدينيّ) إلى الهند وتوفّي فيها عام (١٧١٦م)، ومنها عاد أولاده إلى العراق مرّة أخرى[٣].

---

(١) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (٦١).

(٢) فرمان أصدره السّلطان أحمد الثالث في (١٢) صفر، عام (١٧٠٥م) بإعفاء أملاك الأسرة من الضّرائب.

(٣) يُنظر: أحمد نور الأنصاريّ، النصرة في أخبار البصرة، تحقيق: يوسف عزّ

الطوائفُ الاجتماعيّةُ والاقتصاديّةُ

يصحُّ القولُ إنّ هناك عدّة طوائف أو شرائح اجتماعيّة واقتصاديّة في البصرة -آنذاك- تأتي في مقدّمتها السّلطة الحاكمة، التي كانت قبل الاحتلال العثمانيّ بيد أسرة آل مغامس من المنتفق، التي زالتْ بعد دخول الجيش العثمانيّ البصرة عام (١٥٤٦م)، واستمرّ الحكم العثمانيّ المباشَر حتّى عام(١٥٩٦م) بمجيء أسرة آل أفراسياب، واستمرارها بالحكم شِبْه المستقل حتّى عام (١٦٦٨م)، أمّا أهمُّ الطبقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، فهي:

أ- مجلسُ أعيانِ البصرةِ

وُجِدَ هذا المجلس قبل الاحتلال العثمانيّ للبصرة، وكان يمثِّل هيئة استشاريّة لأمير البصرة، وتكوّنَ هذا المجلس من الشخصيّات الثريّة البارزة من رؤساء الأُسَر الكبيرة، مثل: آل عبد السّلام، والرّفاعيّة، والزُّدينيّة، وغيرهم، المنتخبُونَ من قبل السّكّان كما قيل، ولمْ يُعرف كيف تمَّ انتخابهم، وكلّ ما في الأمر

الدّين، بغداد، ١٩٦٩م: ص٥٤.

صار سلالة هؤلاء الأعيان يُعَدُّونَ كذلك، سواء انتُخبوا أم لم يُنتخبُوا[١].

حصل هؤلاء الأعيان على تكريم الباب العالي العثمانيّ (رئاسة الوزراء)؛ كونهم وجهاء المجتمع وممثّليه، فكان منْ حقِّهم التدخّل بخصوص تقدير مبالغ الضّرائب ونِسَب توزيعِها وأساليب جبايتِها، وبذلك مارسُوا في هذا المجلس دور الوسيط بين السّكّانِ وسلطة الولاية[٢].

ب- ملّاكو الأرض

عُدّتْ أراضي البصرة بعد الفتحِ الإسلاميّ عام(١٤هـ) أراضيَ عشريّة (أي أنْ يُدفع عنها عشر الحاصل)، وبقيتْ على هذا المنوال حتّى سيطرة العثمانيّين عليها، وفي العهد العثمانيّ تمّ تطبيق نظام السّالیانة (نظام الالتزام)، ولمْ يُلْغَ وجود التسميات الإقطاعيّة

(١) يُنظر: هاملتون جب، وهارولد بوون، المجتمع الإسلاميّ والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرّحيم مصطفى، القاهرة،١٩٧١م: ص ٨٦.
(٢) يُنظر: علي، التنظيمات الإداريّة: ص١٢٩.

الأُخَر[١].

إنّ ما يُلفت النظر في ملكيّة الأرض أنّ الأُسَر الكبيرة في البصرة كانت تُمارس أدواراً مزدوجة، فهي من جانبٍ من أعيان البصرة، ومنْ جانبٍ آخر تترأّس الطرق الصّوفيّة في الولاية، واستطاعتْ تلك الأُسر نتيجة لمراكزها الدّينيّة والاجتماعيّة أنْ تكوِّنَ أكبر الملّاكينَ، نسبة إلى باقي الأُسر في البصرة.

قامتْ الدّولة العثمانيّة بمساعدة الأُسر الكبيرة، ومنها: أُسرة آل عبد السّلام، في تثبيت أملاكها السّابقة، وإعفائها منْ بعض الضّرائب أوكلِّها، وكان للأُسرة الرّفاعيّة عدّة أوقاف بحكم موقعها في رئاسة نقابة الأوقاف، ورئاسة الطريقة الرّفاعيّة في الولاية[٢].

---

(١) يُنظر: عماد أحمد الجواهريّ، تاريخ مشكلة الأرض في العراق (١٩١٤-١٩٣٢م)، بغداد، ١٩٧٨م: ص٢١.

(٢) يُنظر: الشّيخ عبد الواحد باش أعيان، زبدة التواريخ، ج١٠، ورقة (١٥٦).

ج- التّجّارُ

يصحُّ القول إنّ معظم تجّار البصرة كانوا من أفراد الأسر الكبيرة، وقدْ حصلوا على ثرواتٍ كبيرةٍ عن طريق معاملاتها التجاريّة، وكانَ لهذه الطائفة حضور في المدينة قبل الاحتلال العثمانيّ لها، وكان النشاط التجاريّ قائماً بين البصرة وبغداد من جهةٍ، وبين البصرة وإيران والهند من جهةٍ أُخرى، وشهدتْ التجارة الداخليّة نشاطاً واضحاً بين البصرة وبغداد، مروراً بالمدن الوسطى والجنوبيّة، وذلك بنقل التّمور والسِّلع الهنديّة إليها[١]، وأصبح لهذه الطائفة وجوداً في بغداد؛ إذْ بلَغَ عددُ التجّار والنواخذة والملّاحينَ في العقد الثاني من القرن السّابع عشر حدود ستّين رجلاً[٢].

على الصّعيد الإقليميّ، قام التُّجّار البصريّونَ بنشاطٍ واسعٍ وأعمالٍ تجاريّةٍ واسعةٍ في مناطق الجوار، مع مناطق الخليج العربيّ

(١) يُنظر: أوزبران، الأتراك العثمانيّون والبرتغاليّون: ص٦٢.
(٢) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (٩٢).

وبلاد فارس، وكذلك تاجروا مع البرتغاليّينَ في هرمز، ومع الهند بحراً وبرّاً، وقاموا بنقل السِّلع العربيّة والهنديّة عَبر طريق (بصرة – حلب) التّجاريّ إلى بلاد الشام، فضلاً عن قيام طائفة من التجّار الصّغار بنقل السِّلع والبضائع لبيعها على أصحاب الحوانيت داخل ألوية البصرة[١].

كان النشاط التجاريّ في البصرة -إجمالاً- منظَّماً، فقدْ وُجِدَتْ دائرة خاصّة للمكوس(الكمرك) في بداية نهر العشّار، تقوم باستيفاء الضّرائب على السِّلع المتنوِّعة الدّاخلة إلى مركز المدينة، فضلاً عن وجود موظّفينَ في ميناء السّرّاجي يستوفونَ الضّرائب على السِّلع والبضائع المستوردة من الخارج بنسبة لا تزيد عن (٤٪)، وكان هناك سجلٌّ خاصٌّ لأمور التجارة والمال والضّرائب، يُشرف عليه القاضي، ويبدو أنّ هذا الأمر كان موجوداً حتّى قبل احتلال العثمانيّينَ للبصرة[٢].

---

(١) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (١٤٧).

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ورقة (٩٤).

د- الفلّاحونَ

يضمّ الرّيف أكثر سكّان العراق في الأزمنة الماضية، سواء أكان هؤلاء السّكّان يُمارسونَ مهنة الزراعة أم الرّعي، وكانتْ الدّولة العثمانيّة قدْ قامتْ بمسحٍ شاملٍ لكلّ الأراضي، وأوجدتْ نُظُمًا خاصّةً للأرض الزراعيّة، ومنها: تحريم تحويل المراعي إلى أراضٍ زراعيّةٍ، والعكس صحيح، إلّا إنّ الحياة الرّيفيّة لمْ تنتعش في عهدهم؛ لكثرة الضّرائب على الفلّاحينَ، ولكنْ شهدتْ حياةُ القرية في جنوب العراق مدّةَ حكم الإمارة الأفراسيابيّة انتعاشاً ملحوظاً[١].

تأثّر الإنتاج الزراعيّ في البصرة في بداية العهد العثمانيّ بالاضطرابات السّياسيّة وفقدان الأمن، وقيام القوّات العثمانيّة بتطبيق سياسة الأرض المحروقة تُجاه القبائل الثائرة في شمال البصرة، وتأثّر الإنتاج الزراعيّ بغارات البدو أو (لصوص الماشية)، على أراضي غرب شطّ العرب في أبي الخصيب، ومنها:

(١) يُنظر: يحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (١٠٤، ٢١١).

أمّ النعاج، أو بالكوارث الطبيعيّة، وقلّة منسوب المياه أحياناً[١].

وكان لأساليب الملتزمينَ الملتوية في جباية الضّرائب من الفلّاحين أثرها السّيّء في حياتهم المعاشيّة؛ إذْ لم يكن أولئك يلتزمونَ بالنسب الرّسميّة للضّرائب، بل ابتدعوا ضرائب أُخر، أو استمرّوا في جباية الضّرائب على حيوانات أصابها الوَباء بالجملة، أو مصادرة بعض المسؤولينَ للحبوب الزراعيّة، التي ينوي الفلّاحونَ بيعها في سوق المدينة؛ لكي يتّخذونها علفاً لخيولهم[٢].

الأُسَرُ والقبائلُ

أسِّستْ مدينة البصرة الثانية على نمطٍّ حضريٍّ يستلهم النُّظم المدنيّة في البصرة الأولى. وإنّ الأُسر الكبيرة في المدينة لمْ تتّخذ من مركزها وقوّتها الاقتصاديّة ما يجعل منها قوّةً عشائريّة، بل بقيتْ في الترتيب الاجتماعيّ، بوصفها أُسراً، وبقي أتباعها في المدينة

(١) يُنظر: جب، وبوون، المجتمع الإسلاميّ والغرب: ٩٨/١، ويحيى البصريّ، تمائم الدّرر، ورقة (١٢٩).

(٢) يُنظر: يحيى البصريّ، المصدر السّابق، ورقة (١١٤).

تُطلق عليهم ألقاب لا تمتُّ إلى العشائر بصلةٍ، بل تتّخذ أسماء شخصيّات أو أماكن أو مهن، ولمْ تظهر في المحلّات السّكنيّة في مركز المدينة أيّة أسماء قبليّة أو عشائريّة.

إنّ أوّلَ ما يستوقف الباحث هو اختفاءُ هذا التنظيم الاجتماعيّ الأسريّ عند عبور شطّ العرب إلى الجهة الشرقيّة، وكذلك في المناطق التي تقع شمال البصرة؛ إذْ يبرز النظام القبليّ بجميع أُطرِهِ وتشكيلاته.

وبعد دخول البصرة تحت السّيطرة العثمانيّة، قامتْ الأخيرة ببسط سيادتها على المدن والأرياف والقبائل، ولكنّها واجهتْ مقاومةً عنيفةً من قبل عشائر الجنوب، وخاصّة ثورات آل عليّان في الجزائر. وربّما جعلتْ تلك الانتفاضات والثورات الدّولة العثمانيّة تقوم بمنح شيوخ العشائر الكبيرة سلطات واسعة، يجعلها بعضُ المؤرّخينَ تعادل سلطات حكّام الألوية، بل وسلطات الوالي أحياناً[1].

(١) يُنظر: عبد العزيز سليمان نوّار، تاريخ العراق الحديث، القاهرة، ١٩٦٨م: ص١٤٧.

وقدْ ذُكِرتْ أسماء قبائل مشهورة في تلك المدّة خارج مركز المدينة، ومنْ أقدم القبائل التي استوطنتْ ولاية البصرة، قبيلة عبادة (تنتمي إلى بني عقيل، وهي من القبائل العدنانيّة)، وقبيلة خفاجة، وقبيلة بني كعب، التي ناصرتْ الإمارة الأفراسيابيّة. وأكبر القبائل في شمال البصرة هي(آل عليّان)، التي أصبحتْ إمارة كبيرة قاتلتْ العثمانيّينَ ببسالة، وهناك عشائر كبيرة، منها: بنو أسد، وبنو لام، وبنو حطيط، وبنو ليث، وبنو كثير، وعشائر أُخَر، منها: سعد، والمعادي(التي يُرجّح أنّها المعدان)، وتميم (في شرق البصرة)، وذُكِرتْ عشائر صغيرة في السّجلّات العثمانيّة باسم طائفة أو جماعة، مثل: بنو مالك، ومير منصور(بنو منصور)، وجماعة العطب، وجماعة السّواعد، وجماعة آل غزّة، وجماعة آل نصّار (أتباع بني كعب)، وطائفة البو نجم، وطائفة آل حسين، وأسماء أُخَر، منها: السّيابجة، ولعلّها بقايا طائفة السّيابجة من العهد الإسلاميّ[١].

---

(١) يُنظر: الحويزيّ، المصدر السّابق: ص١٩، والحميدان، مخطوطة علي بن

الطوائفُ الدّينيّةُ

١- المسلمونَ

أصبحتْ البصرة منذُ تأسيسها في العهد الإسلاميّ بمنزلة مدينة أمميّة؛ لكونها ميناءً مفتوحاً لكلّ الطوائفِ والأجناسِ والأديانِ كافّة. وسادتْ بين تلك الطوائف سياسة التسامح والتعاون طول ذلك العهد، وعند تأسيس البصرة الثانية، سارتْ الحياة الاجتماعيّة فيها على نمطٍ يُشابه ما كان عليه في المدينة الأولى، ومنَ الواضحِ أنّ المسلمينَ شكّلوا الغالبيّة الكبرى في المدينة، فضلاً عن طائفتي الصّابئة والنصارى.

تكوّنَ المجتمع في البصرة الثانية إمّا من انتقال عوائل من البصرة القديمة، أو جماعات عشائريّة هاجرتْ تباعاً من الجزيرة العربيّة، أو نزحتْ من وسط العراق، وكانتْ تلك العوائل والجماعات العشائريّة تدين بالدّينِ الإسلاميّ جميعاً، وإنْ تباينتْ المذاهب

عبد الله الموسويّ، محتواها وأهمّيّتها كمصدر تاريخيّ: ص١٧٧، وسجلّات الدّولة العثمانيّة: سجل رقم (١٢٥٦)، ورقة ٤٣٩-٤٧٧، وسجل رقم (١٢٥٤)، ورقة (٩٣)، وسجل رقم (١٢٥٥)، ورقة(٥-٧).

الإسلاميّة التي تنتمي إليها، فسكّان المركز والطوائف الصّوفيّة فيه، وهي: الشّاذليّة، والرّفاعيّة، والرُّدينيّة، كانوا ينتمونَ إلى المذهب الشّافعيّ، وهناك -أيضاً- أتباعُ المذهبِ الشّيعيّ الاثني عشريّ، وكان أغلب سكّان الجزائر، وما يحيط بها من سكّان شمال البصرة، وجزء كبير من سكّان الضّفّة الشّرقيّة منْ شطّ العرب، من أتباع المذهب الشّيعيّ الاثني عشريّ[١].

وبالرُّغم من أنّ المذهبَ الرّسميَّ الذي طبّقتْه الدّولة العثمانيّة في ولاياتها الإسلاميّة جميعاً هو المذهب الحنفيّ، فإنّ هذا لا يعني إجبار الطوائف الاجتماعيّة على نبذِ مذاهبها الأُخَر[٢].

فهناكَ في البصرة مضافاً إلى المذهب الحنفيّ، الذي كان مقتصراً

---

(١) يُنظر: الحميدان، مخطوطة علي بن عبد الله الموسويّ، محتواها وأهمّيّتها كمصدر تاريخيّ: ص١٨٤، وحنّا بطاطو، العراق، الطبقات الاجتماعيّة، الحركات الثوريّة من العهد العثمانيّ حتّى قيام الجمهوريّة، ترجمة: عفيف الرزّاز، الكتاب الأوّل، بيروت، ١٩٩٠م: ص٦١.

(٢) يُنظر: وجيه كوثراني، السّلطة والمجتمع والعمل السّياسيّ، من تاريخ الولايات العثمانيّة، بلاد الشّام، بيروت، ١٩٨٨م: ص٦٨.

على الدّوائر والمؤسّسات الرّسميّة العثمانيّة، مذاهب أُخَر، ومنها: المذهب الشّافعيّ والمالكيّ في بادية البصرة، والمذهب الشّيعيّ الاثني عشري في شرق شطّ العرب وشمال البصرة، وكذلك في جنوب البصرة بين الفلّاحينَ.

ومع ذلك نجدْ أنّ التسامح الدّينيّ كان سائداً في البصرة بشكلٍ كبيرٍ، فمثلاً: أسندتْ الإمارة الأفراسيابيّة وظيفة القضاء إلى الشّيخ (فتح الله الكعبيّ)، وهو شيعيُّ المذهب، فضلاً عنْ اعتمادها على شخصيّات من مختلف المذاهب الإسلاميّة[1].

٢-النصارى

اكتسبتْ هذه الطائفة وضعاً جيّداً في الدّولة العثمانيّة؛ إذْ حصلتْ على حقوق (مللّية) معترف بها منْ قِبل السّلطان العثمانيّ، أو من قبل الولاة في البصرة، وعلى الأخصّ من قبل أسرة (أفراسياب). وكانتْ أوّل إشارة إلى وجود النصارى في البصرة في

(١) يُنظر: الكعبيّ، زاد المسافر: ص٣.

بداية القرن السّابع عشر، حينما ذكر الرّحّالة (تيخيرا) وجود بيتٍ صغيرٍ على شكل صومعةٍ على ضفّة نهر العشّار الجنوبيّة في غرب المدينة، وإنّ المسلمينَ يقدّسونَ السيّد المسيح، ويُسمّونه (روح الله)[١].

تُجمِع المصادر على أنّ أوّل ظهور للنّصارى الكاثوليك في البصرة الثانية، كان لفرقة (الكرمليّونَ الحفاة)، التي كان لهم فيها إرساليّة تبشيريّة، وقامُوا بتأسيس كنيسة للنّصارى باسم (كنيسة العذراء مريم) في محلّة السّيمر، وافتُتحتْ في آذار عام (١٦٢٤م)[٢].

ومن اللّافت للنظر تزامن ظهور الرُّهبان الكرمليّينَ مع الرُّهبان البرتغاليّينَ من جماعة الأوغسطينيّينَ، أو قدْ يكونُ ظهورُهم أسبق بعدّة سنوات على مجيء الكرمليّينَ، ما جعلهما يدخلانِ في منافسةٍ شديدةٍ للتبشير[٣].

---

(١) يُنظر: رحلة تيخيرا: ص ٤١.

(٢) يُنظر: رحلة تافرنييه، مصدر سابق: ص١٠٠.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه.

لاشكّ أنّ الهدف الرّئيس من إنشاء كنيسة الآباء الكرمليّينَ هو القيام بحملةٍ تبشيريّةٍ واسعةٍ بين طائفة الصّابئة المنتشرينَ في ولاية البصرة، وكذلك بين المسلمينَ إلى حدٍّ ما، ولمْ تذكر المصادر أعداد النّصارى آنذاك بشكلٍ واضحٍ، ولا أماكن استقرارهم في البصرة الثانية، عدا إشاراتٍ إلى أنّ كنيسة الكرمليّينَ بُنيتْ في السّيمر، وربّما كانتْ كنيسة الأوغسطينيّينَ قريبةً منها، وتُبالغ بعض المصادر في أعداد النّصارى في المدينة عام (١٦١٠م)، وتقدّرها بثلاثة آلاف بيت، وهذا يعني أنّ عددهم يصلُ إلى (١٥٠٠٠) شخص، وهو رقمٌ كبيرٌ، خصوصاً أنّ النّشاط التبشيريّ لم يستقرّ في البصرة إلّا في سنة (١٦٢٥م)[1]، ومن ناحيةٍ أخرى فإنّ كنيسة الكرمليّينَ أصبحتْ مكاناً لاجتماع تجّار البلدة من مسلمينَ ونصارى، وتحوّلتْ إلى أحد أماكنِ اللّقاء والتقارب الاجتماعيّ في البلدة.

---

(١) يُنظر: رحلة تافرنييه، الملحق رقم (٢٣).

٣- الصّابئةُ المندائيّونَ

سكن الصّابئة في منطقة جنوب العراق منذُ العهود الإسلاميّة، وكان استيطانُهم في مناطق الأنهار الجنوبيّة من العراق ومنطقة عربستان، منذُ القرن الرابع عشر الميلاديّ، وقدْ حدّدتْ بعض المصادر التاريخيّة أماكن سكنهم في بداية القرن السّادس عشر في مناطق الحُويزة والجزائر والزكيّة، ومناطق متعدّدة من شرق شطّ العرب، وعدّة مناطق منْ جنوب شرق بلاد فارس، وفي مركز ولاية البصرة، وحتّى في جنوب البصرة[١].

اختلف الكتّاب والرّحّالة في تحديد عددهم، فالبعضُ قدّرهم بحدود (١٠-٢٠) ألف نسمة، بينما ذكر الرّحّالة (تافرنييه) أنّ أحد شيوخ الصّابئة أكّد له أنّ مجمل عوائلهم في مناطق بلاد فارس وولاية البصرة يقارب (٢٥) ألف نسمة، وتبقى تقديرات

---

(١) Chronicle of the Carmalites in Persia and the People mission of the xvill and xvill the centuries , vol . 2 , PP. 320. 330.

الآباء الكرمليّينَ قريبة من الواقع[١].

ومنَ الجدير بالذكر قيام الآباء الكرمليّينَ وجماعة الأوغسطينيّينَ بجهودٍ كبيرةٍ لكي يحوِّلوا الصّابئة إلى نصارى، وكانَ الشّائع عندهم أنّ الصّابئة هم من النّصارى القدامى أتباع القدّيس (يوحنّا المعمدان-النبيّ يحيى عليه السلام-)، نتيجة لتشابه بعض طقوسهم الدّينيّة مع الطقوس النّصرانيّة، وعلى الأخصِّ في قضايا التعميد، لكنّ الآباء النّصارى الذين زاروا البصرة فطنُوا إلى أنّهم ليسُوا نصارى[٢].

ويُعتقدُ أنّ تلبية الصّابئة لإلحاح الآباء النّصارى بالدّخول في كنيستهم ليس إلا لحماية أنفسهم من الذينَ يريدونَ بهم شرّاً، أو للحصول على منافع ماديّة. وإنّ ديانة الصّابئة - كما لاحظ ذلك الآباء الكرمليّينَ- ديانة غريبة اختلطتْ فيها اليهوديّة والفارسيّة

---

(١) يُنظر: رحلة تافرنييه: ص ٤١.

(٢) يُنظر: الأب فيليب الكرملي، الرّحلة الشرقيّة، ترجمة: الأب بطرس حدّاد، مجلّة المورد، العدد(٤)، ١٩٨٩م: ص ١٥٧.

القديمة مع البابليّة، ولهمْ لغتُهُم الخاصّة بهم، وهي قريبة الشّبه من اللُّغتينِ الآراميّة والسّريانيّة، واشتغل الصّابئة في البصرة بصناعة القوارب المحلّية (المشحوف)، وبرعُوا في صناعة التطعيم على آنية الفضّة، وصناعة الذّهب[١].

(١) يُنظر: رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السّابع عشر، ترجمة وتعليق: الأب بطرس حدّاد، مجلّة المورد، بغداد، العدد(٣)، ١٩٧٦م، ص٨٤، Chronicle of the Carmalites in Persia vol 1 , p 327.

البصيرة الثالثة

البصرةُ الثالثةُ

كانت البداية الأولى لانتقال السّكن إلى العشّار، وتحديداً إلى محلّة مقام عليّ (وكانت تُسمّى بهذا الاسم دون معرفة مَنْ هو عليٌّ؟ إلا إنّ المعنيّينَ بهذا الشأن، بيّنوا أنّه خطوة للإمام عليّ بنِ موسى الرّضا (عليه السلام)). وكانتْ قدْ بُنيتْ على هذا المقام قبّةٌ، وأصبح مكاناً للصّلاة، وقدْ ذكره الرّحّالة منذُ القرن السّادس عشر الميلاديّ، ويُوجد بالقربِ منهُ إلى جهة الشّرق مكانٌ لاستيفاء الضّرائب منذُ زمن الدّولة الإسلاميّة، وفي زمن الدّولة العثمانيّة بقي يُمارس تلك المهمّة أيضاً. وبالتأكيد اضطرّ الموظّفونَ وعوائلهم إلى السّكن في المكانِ نفسِهِ، فضلاً عن سكن قوّة الحماية العسكريّة والأمنيّة بالقربِ منهم لتنفيذِ المطالب الإداريّة.

ومنَ المعلوم أنّ هذه المنطقة أو ما يُحيط بها إلى جهة الجنوب مكانٌ لاستصلاح الأراضي في عهد الدّولة العبّاسيّة، وقدْ جُلِبَ العديد من الرّقيق (الزّنج)، وتمَّ تشغيلُهم في استصلاح الأراضي

وكسح السّباخ؛ ولذا أصبحتْ منطقةً سكنيّةً لأولئك الرّقيق معَ عوائلهم، ونتيجة للظّلم الذي وقع عليهم، قامُوا بثورةٍ كبرى ضدّ الدّولة العبّاسيّة في سنة (٢٥٥هـ)، استمرّتْ أربعةَ عشر عاماً، ما اضطرّ الدّولة العبّاسيّة إلى إرسال الجيوش بقيادة الموفّق بالله العبّاسيّ لقمعها، واضطرّ الأخير إلى بناء مدينة عسكريّة قريبة من مدينة الزّنج لقتالهم، سُمِّيتْ (المُوفّقيّة)، وبعد القضاء على ثورة الزّنج وحرق مدينتهم، وانسحاب القوّات العبّاسيّة، لمْ نعُدْ نسمع بتلك المدينة[١].

عند انتقال السّكّان التدريجيّ من البصرة الأولى إلى البصرة الثانية في المشراق، ومحلّة الدّيوانيّة (محلّة الباشا)، والقبلة، والسِّيمر، قام قسمٌ منهم بالسّكن في جنوب البصرة في بعض مناطق النخيل، وقامُوا بزراعتها، وعُدّتْ تلك المناطق الأولى للسّكن في البصرة الثالثة – كما مرّ ذكره في مبحث البصرة الثانية–.

في سنة (١٨٧٠م) أصدر والي بغداد (مدحت باشا) (١٨٦٩–

(١) للمزيد من التفاصيل يُنظر: فيصل السّامر، ثورة الزنج، بغداد، ١٩٧١م.

١٨٧٢م) – وكانت البصرة تابعة لبغداد– أمراً بنقل مقرّ الحكومة (القوناق) من (محلّة الباشا) في الضّفّة الشّماليّة لنهر العشّار إلى مكان يُعرف بـ (الطوبخانة)، أي: المدفعيّة، (قرب بناية البنك المركزيّ الحالي)، مقابل مسجد (مقام علي)، وتمَّ الانتقال إليه في عام(١٨٧٥م)، وقدْ ضمّ مقرّ الوالي وجميع الدّوائر الأُخر، وهو عبارة عن بناية واسعة تتألّف منْ طابقينِ مبنيّة منَ اللّبن (الطابوق المجفّف بالشّمس)، ولا تتميّز عن الأبنية المحيطة بها سوى في ضخامتِها وشكلِها الذي يُشبه الثّكنة، وفي السّنة ذاتها، شجّع (مدحت باشا) بكلِّ الوسائل بناء الدّور في ضاحية المقام، وتأجير الأراضي الأميريّة لمدّةٍ طويلة الأمد، وقدْ استجابتْ الشّركات الأجنبيّة العاملة في البصرة لمشاريعه، وشيّدتْ لها مستودعات جميلة، وأرصفة تُطِلُّ على شطّ العرب، وبنتْ حوضاً داخليّاً عليه في (المعقل) للبواخر ذات الغاطس الكبير للرُّسُوّ فيه، إلا إنّه لم ينُجز في عهده، ولمْ يكنْ هذا الإجراء مستحسناً منْ بعض السّكّان؛ نتيجة التخوّف منَ السّرّاق، وحتّى من القراصنة في شطّ

العرب؛ لذا توقّف السّكن في (مقام علي) في عهد الوالي الذي خلفه (رديف باشا)، وعندما رجعتْ البصرة ولاية في عام (١٨٧٥م)، وأصبح (ناصر باشا السّعدون) والياً عليها، توقّف السّكن فيها، وليس هذا فحسب، بل أمر بإعادة مقرّ الحكومة إلى مكانِهِ السّابق في محلّة الباشا، وأصدر أمراً مشدَّداً يمنعُ فيه السّكن خارج حدود البصرة الثانية. ولمْ يمضِ على ضاحية المقام ما يقرب منَ الرّبع قرن حتّى تزايد عددُ سكّانها تدريجيّاً، ونمتْ لتصبح المكانَ الأوّلَ للبصرة الثالثة، ووصل تعداد سكّانها في نهاية العقد الأوّل من القرن العشرينَ إلى حدود خمس عشرة ألف نسمة، وبُنيتْ فيها الأماكن والمؤسّسات التي يرتبطُ نشاطها بالميناء بشكلٍ مباشرٍ، بينما قدَّر ميرزا (حسن خان) العدد بحدود عشرينَ ألف نسمة[١].

(١) يُنظر: ألكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتيّ، البصرة، ١٩٨٩م: ١/ ٤١، وميرزا حسن خان، تاريخ ولاية البصرة، ترجمة: محمّد وصفي أبو مغلي، البصرة،١٩٨٠م: ص ٧٧.

العمرانُ في العشّار

استمرّ البناء في المقام في بداية القرن العشرينَ، وتحديداً في نهاية العقد الأوّل منه، ومنه التّرسانة البحريّة، وورشة تصليح محرّكات السّفن، والمدافع والأسلحة الملحقة بها، وكذلك إدارة الميناء، ودائرة الكمارك، ودائرة الحجر الصِّحيّ، ومكتب القبودان (قيادة الأسطول الحربيّ العثمانيّ) الصّغير الحجم، ومكاتب شركات المِلاحة العثمانيّة والأجنبيّة، وأربع ثكنات لجنود المشاة، وكتيبة واحدة من جنود البحريّة[1].

وفي عام (١٩١٥م)، كانت العشّار تحتوي على مدرسة واحدة ابتدائيّة، ومصارف، هي: المصرف العثمانيّ، والمصرف الإيرانيّ، والمصرف الشرقيّ الإنكليزيّ، ودائرة البريد والبرق، وثلاثة جسور بين ضفّتَي، نهر العشّار، الأوّل: جسر أمّ البروم، والثاني: الجسر العتيق (جسر المغايز) قرب المصرف العثمانيّ، والثالث: هو

(١) يُنظر: أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، المورد نفسه.

الجسر الحديث مقابل (مقام علي)، الذي أُنشِئ عام(١٩٢٢م)[١].

وهناك بطّاريّة مدفعيّة بالقرب من مقرّ الحكومة، وتُعدُّ جميع البيوت والمباني الواقعة على الضّفّة الجنوبيّة من نهر العشّار، وفي منطقة (منّاوي باشا)، امتداداً للبناء في المقام، ومعظم البنايات هناك إمّا ملكاً للشركات التجاريّة الإنكليزيّة، أو مستأجرة منْ قِبَلِها، وتلك الشّركات كانتْ في منطقة يُسمّيها الإنكليز (ماركيل) (المعقل)، ويُسمّيها النّاس(كوت الفرنجيّ)، وتوجد فيها القنصليّة البريطانيّة، وفيها حوضٌ جافٌّ، وورشةٌ تعود لشركة المِلاحة الإنكليزيّة (بيت لنج)، وفي الضّفّة الشّرقيّة منْ شطّ العرب مقابل المقام تُوجد بناية وحيدة هي بناية المستشفى العسكريّ البحريّ، الذي يتألّف منْ طابقين، وقدْ تمّ بناء بعض البيوت في شماله – في قرية كردلان– لظروفه المناخيّة الجيّدة[٢].

وقدْ أصبح العشّار أكثر تقدّماً في عام(١٩٢٢م)، حتّى إنّه تفوّق على البصرة (الثانية)، وكان سوقه كبيراً ومنظّماً بصورةٍ

(١) يُنظر: النبهاني، التّحفة النبهانيّة: ص١٠٨.

(٢) يُنظر: أداموف، ولاية البصرة: ص٤٢– ٤٣.

كبيرةٍ، وسِلَعُه في غاية الرواج، وبه عدّة مطاعم، وفندق، وتمّ تعبيد طريق السّاحل بالقير عام (١٩٢٢م)، وبُنيت على هذا الطريق عّدة بيوت متفرّقة على الطّراز الحديث.

وفي عام (١٩٢٣م) افتُتح خطّ السّكك الحديد من البصرة إلى بغداد، ودُفنت الأرض في ممرّ الخطّ، ووُضع سدٌّ عريض المساحة من التراب عند موضعٍ يقال له(خر طراد)، ليحفظ السّكّة من المياه. وقدْ مُدّ فرع من السّكّة في المعقل إلى منطقة كوت الحجّاج، لنقل التمور وبعض المنتجات منها، وعند وصول القطار يخرج النّاس لمشاهدته[1].

واستمرّ البناء في العشّار تباعاً، ففي عام(١٩٢٢م) بدأ العمل ببناء ثانويّة في وسط العشّار(الإعداديّة المركزيّة الحاليّة)، وتمّ افتتاحها عام (١٩٢٥م)، وتبعها بعد ذلك بناء المتصرّفيّة بالقرب من (أمّ البروم)، وإنشاء المطار المدنيّ في نهاية المعقل، الذي تمّ

(١) يُنظر: النبهاني، المصدر السّابق: ص١١، ١٠٧، ٣٤٧.

افتتاحه في آذار(١٩٣٨م)[١].

ولابدّ من الكلام عن أبي الخصيب والفاو، كونهما يقعان إلى الجنوب من (العشّار)، فالأوّل كان وحدة إداريّة (قضاء) بداية القرن العشرينَ، وفيه مفرزة عسكريّة وقلعة فيها عدّة مدافع، ومكتب تلغراف للحكومة، وللإنكليز مثلها، وكان من أكثر مناطق المدينة زرعاً، وأهلُها من أغنى أهل البصرة، وفيه عشرونَ مسجداً، وسوقان، فيهما مائتا دكّانٍ، ومدرسة رُشديّة وأخرى ابتدائيّة، وإدارة للبلديّة، ومكتب للتلغراف، وفيها مبانٍ حسنة، وعدد سكانها يقرُب من السّتّة آلاف شخص[٢].

وإلى الجنوب من أبي الخصيب تقعُ الفاو، ومركزُها قريةٌ صغيرةٌ من أكواخ القصب، وفيها المحطّة الأخيرة لخطّ التلغراف البرّيّ الممتدّ من اسطنبول إلى بغداد والبصرة، وفيها نقطة البداية لخطّ التلغراف البريطانيّ البحريّ الممتدّ إلى(بو شهر)، ومنها إلى

(١) يُنظر: عبد المجيد حسن الغزالي، البصرة، بغداد،١٩٤١م: ص٢٣٦، ٢٣٨.

(٢) يُنظر: المصدر السّابق.

(كراجي)، وفيها -أيضاً- مفرزة عسكريّة وقلعة مع عدّة مدافع، وليس في الفاو بيوتٌ من الطابوق، وجميع سكّانها فلّاحونَ، وعددُ سكّانها ما بين ألفين وثلاثة آلاف شخص، أغلبُهُم منَ العشائر[١].

الخدماتُ البلديّةُ

في عهد الوالي (مدحت باشا) تمّ تأسيس بلديّة البصرة، وقامتْ في سنة(١٨٧٦م) بتطهير نهر العشّار؛ كونه المورد الرئيس لمياه الشّرب وإرواء البساتين، وطريق المواصلات من العشّار إلى مركز الولاية في البصرة الثانية، ودعتْ الأهالي إلى جمع التبرّعات لتغطية نفقاته. وفي عام (١٨٩٢م)عاودتْ التطهير مرّةً أخرى، وقامتْ بإنشاء قناطر وجسور على بعض الأنهار، ومنها: نهر السّرّاجي، والدّويد، والرّباط، وثلاثة جسور في حيّ الفرسيّ، واستحداث جسرين في المنطقة المعروفة بـ(درب الطّويل) (طريق للمشاة من أبي الخصيب إلى محلّة منّاوي باشا)، والقيام ببناء مائة

(١) يُنظر: ميرزا حسن خان، تاريخ ولاية البصرة: ص٧١.

حانوت لتشكيل سوق المقام[١].

وفي عام (١٨٨٦م)، قامتْ البلديّة بإصلاح مجموعة من القناطر وبنائها من الآجر، منها: قنطرة الخندق، والعشّار، وجسر الغربان، وقامتْ ببناء جسور نهر السّرّاجي، ونهر حمدان، وإعادة بناء جسر الخورة، وبريهة، والكزّارة، من الخشب، وفي سنة (١٩٠١م)، أنشأتْ جسراً حديديّاً على نهر العشّار[٢].

ونتيجة لتوسّع العمران في العشّار، تمّ تشكيل بلديّة العشّار في عام (١٩٠٥م)، وعلى الرّغم من المصاعب التي واجهها (عبدالمحسن الزّهير)؛ بسبب ما أنفقتْه البلديّة الأولى على بلدية العشّار، إلا إنّه استطاع أنْ ينهضَ بأعبائها، وعمل جاهداً في رفع مستوى الخدمات البلديّة في أُمور التنظيف ورفع الأزبال باستعمال العربات بدلاً من نقلها على ظهور الحيوانات، ما سهَّل

(١) يُنظر: عبد العظيم نصّار، بلديّات العراق في العهد العثماني، بغداد، ٢٠٠٦م: ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) يُنظر: رجب بركات، بلديّة البصرة (١٨٦٩-١٩٨١م)، بغداد، ١٩٨٤م: ص٥٢.

عمليّة التنظيف[١].

توسّعتْ الحركة التجاريّة في (مقام عليّ) حتّى أصبح سوق المقام يشتمل على أكثر من (٤٠٠) حانوت يُباع فيها مختلف السّلع والحاجات المنزليّة والمعيشيّة، وأُقيم جسر على نهر العشّار مقابل السّوق، وسُمّي (جسر المقام).

والجدير بالذكر، أنّ محلّة الخندق التي تقع شمال نهر الخندق، بدأ العمرانُ يزدادُ فيها من سنةٍ إلى أخرى، بحيث بدأتْ تنافس محلّة المقام في أهمّيّتها بالنسبة للبصرة[٢].

اهتمّ والي البصرة (سليمان نظيف بك) بإقامة طريق بين العشّار والبصرة (الثانية)، بناءً على اقتراح من رئيس البلديّة (عبد المحسن الزّهير) في عام(١٩٠٨م)، وقدْ أشرف على عمليّة تقدير واستملاك الأراضي التي يمرُّ بها الطريق، وسُمِّي (جادّة الرّشاديّة)، التي افتتحتْ في عام (١٩١٠م)، وقامتْ البلديّة بإنارة الجزء الأوّل من الطريق بالفوانيس (أداة للإنارة تستخدم

(١) يُنظر: رجب بركات، بلديّة البصرة (١٨٦٩-١٩٨١م): ص٥٢.
(٢) يُنظر: أداموف، ولاية البصرة: ص ٣٩، ٤٢.

النفط لهذا الغرض)، ثمّ استُعيض عنها بمصابيح زيتيّة(لوكس) أهداها (أحمد باشا الزّهير) إلى البلديّة[١].

وكان انتقال النّاس بين البصرة (الثانية) والعشّار يتمّ إما عن طريق الزّوارق(الأبلام)، أو عن طريق الحيوانات.

وفي عام(١٩٠٦م)، أُسِّستْ شركة(محمّد سعيد) لنقل النّاس في عربات تجرّها الحيوانات[٢]، ويصفُ بعض الرّحّالة ذلك الطريق بأنّه ردِيءُ التّرصيف، وأُبدِل اسمُه في عام (١٩١٦م) من (جادّة الرّشاديّة) إلى (طريق السّاحل)، وكان النقل يتمُّ وسطَ زحامٍ شديدٍ، وهناك مجموعةٌ كبيرةٌ من الأبلام في شطّ العرب ونهر العشّار تقدّر بألفي قاربٍ[٣].

ويصفُ الرّحّالة (كرستيجي) منطقة العشّار بأنّ النهر يقسمها على جزأين، الشّمالي، وهو حيُّ المقام، أو ما يُسمّيه (التركي)،

---

(١) يُنظر: رجب بركات، بلديّة البصرة: ص٢٣٦.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٩٨.

(٣) يُنظر: كرستيجي، رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها، ترجمة: منذر الخور، البحرين، ١٩٨٩م: ص١٦١، ١٦٦.

والجنوبيّ، أو (الحيّ التجاريّ الأوربيّ)، وتوجد فيه المكاتب والمؤسّسات التجاريّة المتنوِّعة، ومِن بينها مصلحة البريد والهاتف البريطانيّة، والمكاتب العسكريّة، ووكالات البواخر، وفرع للبنك الشّرقيّ الهنديّ، ومخفر للشّرطة، وتوجد في هذا الجانب - وعلى مسافةٍ قليلةٍ إلى الغرب- المتاجرُ الأوربيّةُ الكبيرةُ[1].

تطوّرُ النّقلِ والعمرانِ في البصرةِ

كانتْ البصرة مركزاً تجاريّاً منذُ تأسيسها في عام (١٤هـ)، ثمّ أصبحتْ ميناءً مهمّاً للدّولة العبّاسيّة لنقل السّلع من الهند وإليها، وأصبحتْ مادّة للقصص والأمثال، حتّى إنّ السّندباد وحكاياته كانتْ بداياتها من ميناءِ البصرةِ، واستمرّ نشاطه في العهد العثمانيّ منَ الناحية التجاريّة؛ إذْ كانَ قاعدةً للسُّفنِ في المنّاوي، وازداد أهمّيّةً في عهد السّيطرة البريطانيّة.

أقام العثمانيّونَ دائرة ترسانة البصرة في العشّار عام (١٨٨٩م)، في منطقة (الدّاكير) لإصلاح السُّفن الصّغيرة، وكان لشركة (الهند

(١) يُنظر: كرستيجي، رحلة من بومباي إلى البصرة: ص١٦٥.

الشرقيّة البريطانيّة) قسمٌ فيها، إلا إنّ الأخيرة قرّرتْ بعد ذلك بناء ترسانة أكبر في المعقل (مقرّ قيادة القوّة البحريّة العراقيّة)، أو (كوت الإفرنجيّ)، كما كانت تُسمّى آنذاك[١].

في تسعينيّات القرن التّاسع عشر أصبحتْ هناك حركة تجاريّة واسعة في الميناء، وازداد السّكن في منطقة(مقام عليّ)، وبُنيتْ عدّة محلّات، فضلاً عن محلّة المقام والخندق، وأهمّها: محلّة الكزّارة، والمنّاوي، والفرسيّ، والسّاعي، والعبّاسيّة، وبريهة، وكوت الحجّاج، وقام التجّار ببناء قصور على شكل شناشيل مزركشة على طول الضّفّة الجنوبيّة من نهر العشّار[٢].

وقامتْ الشّركات الأوربيّة بافتتاح خطوط ملاحيّة مع ميناء البصرة، ومنها: ألمانيا، التي افتتحتْ خطّاً بين البصرة وهامبورغ في عام (١٩٠٦م) للتخلّص من وساطة لندن في إيصال سلعها إلى العراق، وتُشير إحصاءات الميناء إلى أنّ ثلث إنتاج التمور في

(١) يُنظر: رجب بركات، بلديّة البصرة: ص٩١.

(٢) يُنظر: ميرزا حسن خان، تاريخ ولاية البصرة: ص٦٤، وحسين محمّد القهواتي، العراق بين الاحتلالين الأوّل والثاني: ص٥٠.

البصرة يُنقل بواسطة البواخر إلى أوربّة وأميركا، وثلثَه الآخر يُنقل إلى موانئ الهند والخليج العربيّ والبحر الأحمر، وثلثَه الأخير يبقى للاستهلاك المحلّي، وكانتْ أوّل باخرة نَقلتْ التمر إلى أميركا في عام (١٨٩٦م)[١].

في عام (١٩٠٧م) نشطتْ الشّركة الحميديّة للملاحة التابعة للدولة العثمانيّة بامتلاك سبع بواخر وبعض الرّافعات، وامتلاك حوض جافٍّ للسّفن على نهر الخندق في البصرة (قرب الدّاكير)، وقامتْ حدود (٢٨) شركة تجاريّة بنشاطٍ في الميناء، فضلاً عن المراكز التجاريّة المحلّيّة التابعة للأُسر الغنيّة في البصرة، أمثال: بيت الزّهير، وبيت باش أعيان، وبيت النقيب، وبيت البدر، وبيت المنديل، وبيت الشّبيبيّ، وغيرهم[٢].

---

(١) يُنظر: أداموف، ولاية البصرة: ٢/ ٢١٨.

(٢) يُنظر: القهواتي، العراق بين الاحتلالين الأوّل والثاني: ص ٢٦٨، ٢٩٠.

الأحوالُ الاجتماعيّةُ والدّينيّةُ

يتكوّنُ المجتمع البصريّ في أغلبه من العرب المسلمينَ، مع وجود أقلّيّة مسيحيّة، وأقلّ منها من طائفة الصّابئة. وفي العشّار- في بداية القرن العشرينَ- اختلطتْ الأجناس المختلفة؛ كون العشّار ميناءً بحريّاً يمثّل متحفاً متحرّكاً للأعراق الآسيويّة، وكونه يضمُّ -فضلاً عن العرب- العنصر التركيّ، واليهوديّ، والأرمنيّ، والزّنجيّ، والفارسيّ، والبلوش، والسّوريّين، والهنود، والأكراد، وغيرهم، إلا إنّ العربيّ -الذي يشكّل الأكثريّة- يتميّزُ بكونه شخصاً حسّاساً ونافذَ البصيرة، لكنّه غير عمليٍّ، على حدِّ قول الرّحّالة كرستيجي[1].

ويُوصف المجتمعُ البصريُّ بأنّ أفراده يحترمونَ الغريب، ويفتحونَ منازلهم للضّيوف، وخاصّة في الرّيف، فعندما يستقبلونَ الضّيف يقدّمونَ له الطعامَ الخاصَّ بمنتهى الاحترام، سواء أكانوا يعرفونَه أم لا، ويصنعونَ القهوةَ الخاصّةَ لكلّ ضيفٍ

(١) يُنظر: كرستيجي، رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها: ص١٧٠.

يدخل المضيف، وفي كلِّ قريةٍ يوجد مضيف لاستقبال الضيوف. وطعامهم غالباً ما يكون من الخبز والتمر واللّبن الرّائب. وعندما يأتي ضيف يأكلونَ بمجيئه الرّز واللّحم. ويُكثِرُ القرويّونَ منْ إقامة المآتم الحُسينيّة، ويحترمونَ علماءَ الدّين والسّادة العلويّينَ[١].

ويُعطي لنا (ألكسندر) إحصائيّة استقاها من النشرة العثمانيّة الخاصّة بولاية البصرة لعام (١٨٩٨-١٨٩٩م)، التي تحدِّد عدد سكّان لواء البصرة بـ (٥٨٠, ١٨٠)، وأنّ أعداد المذاهب في ولاية البصرة كالآتي[٢]:

الشّيعة (٦٦٢,٨٥٠) نسمة

السنّة (٢٦١,٨٤٥) نسمة

الأرمن (١٥٠٠) نسمة

الكاثوليك (١٣٠٠) نسمة

اليهود (٥٠٠٠) نسمة

الصّابئة (٣٠٠) نسمة

---

(١) يُنظر: ميرزا حسن خان، تاريخ ولاية البصرة: ص٥٥.

(٢) يُنظر: أداموف، ولاية البصرة: ص١٢٩.

وإنّ أغلب فلّاحي حزام بساتين النخيل من المدَيْنَة إلى الفاو من الشّيعة، وأصبحتْ الفرسيّ القريبة من مركز البصرة (الثانية) مركزاً للشّيخيّة الاثني عشريّة، وقدْ استقرّ كثير من مهاجري الرّيف الشّيعيّ في العشّار، وقامُوا ببناء مساجدهم فيها، وزاحمهم الهنود والفرس والتجّار الأوربيّون[١].

وأهمّ المساجد في العشّار، فضلاً عن مقام الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام (جامع الخضيريّ)، الذي بناه (قاسم جلبي الخضيريّ) وأخوته، وجامع (كاظم أفندي)، ومسجد الحاج (حمود باشا الملّاك)، ومسجد البحارنة، ومسجد الحاوي، الذي بناه الحاج (محسن الحاوي) في محلّة أم الدّجاج، وفي داخل القَشلة مسجدٌ بنته (زهرة بنت محمّد آغا) زوجة (حمود باشا الملّاك)[٢].

تحتوي المدينة ثلاث كنائس، وكلُّ واحدةٍ لطائفةٍ مسيحيّةٍ، الأولى: تعود لطائفة الكرمليّينَ، والثانية: تعود للسّريان الكِلدان،

---

(١) يُنظر: ريدر فسر، البصرة وحلم الجمهورية الخليجيّة، ترجمة: سعد الغانمي، بغداد، ٢٠٠٨م.

(٢) يُنظر: النبهاني، التّحفة النبهانيّة: ص ١٠٨.

وهي أوسعها، وأُسّستْ في عام (١٩٠٨م)، والثالثة: للأرمن، وهي تحتاج إلى الترميم، وهناك الإرساليّة الأميركيّة بمدارسها وعياداتها وورشها ومساكنها، وهي مدرسة (الرّجاء الصّالح) في العشّار[١].

الأحوالُ السّياسيّةُ

شهدتْ البصرة (الثانية والثالثة) حركةً سياسيّةً كبيرةً بعد إعلان الدّستور العثمانيّ عام (١٩٠٨م)، وحتّى عام (١٩١٤م)، وتمّ افتتاح فرع لجمعيّة الاتّحاد والترقّي فيها، إلا إنّ الاتحاديّينَ مارسوا الضّغوط في انتخابات (١٩٠٨م)، حتّى لا يفوز السيّد (طالب النقيب) و(أحمد باشا الزّهير)، وعلى أثر ذلك بدأ تعاون بين (طالب النقيب)، و(أحمد باشا الزّهير)، والشّيخ (مبارك الصّباح) شيخ عربستان، وتمّ عقد مؤتمر في قصر الشّيخ (خزعل) في الفيليّة في آذار(١٩٠٩م)؛ للتعاون بينهم، ولتدارس الأوضاع

(١) يُنظر: أداموف، ولاية البصرة: ص٤١، والغزالي، البصرة: ص١- ١٤٨.

تجاه سياسة الاتحاديّين[١].

ازداد النشاط السّياسيّ وضوحاً بافتتاح فرع للحزب الحرّ المعتدل في البصرة في تشرين الأوّل (١٩٠٩م)، لتحقيق اللّامركزيّة في الحكم، برئاسة السيّد (طالب النقيب)، للوقوف بوجه السّياسة الاتحاديّة، وحين ألّف المعارضونَ للسّياسة الاتحاديّة حزب الحرّيّة والائتلاف في البصرة، انضمّ الحزبُ الحرّ إليه. وفي انتخابات (١٩١٢م) فاز مرشّحو حزب الحرّيّة والائتلاف بمقاعد البرلمان العثمانيّ، إلّا إنّ الاتحاديّينَ قاموا بحلّ الحزب، ولكنّ السيّد(طالباً النقيب) أسّس لجنة الإصلاح البصريّة، التي انضمّ إليها الكثير من السُّكّان[٢].

ازداد الوضع السّياسيّ في البصرة سوءاً بعد تخطيط الحكومة العثمانيّة لاغتيال السيّد (طالب النقيب) والتخلّص منه، بوصفه قائداً للمعارضة السّياسيّة ضدّها، وقامتْ من أجل ذلك بعزل

(١) يُنظر: حميد أحمد حمدان التميميّ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤- ١٩٢١م)، بغداد، ١٩٧٩م: ص٣٢، ٣٤.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٧.

الوالي السّابق وتعيين والٍ جديد أعطتْه أوامر بتصفيته، إلّا إنّ السيّد (طالباً النقيب) عرف بما يُدبَّر له، فاستبقَ الأحداث، وقبل نزول الوالي المعيَّن (فريد بك) من الباخرة عند مغيب الشّمس في (١٩حزيران ١٩١٣م)، كانت هناك جماعة متخفّية له بالمِرصاد، وأمطروه بوابل من الرّصاص، قُتِل على أثرها، وجُرِحَ أحد مرافقيه[١].

وفي شهر آب (١٩١٣م) نشرتْ جريدة الدّستور الناطقة بلسان جمعيّة الإصلاح البصريّة بياناً يؤكّد ضرورة تطبيق الإدارة اللّامركزيّة، والتنديد بسياسة الاتحاديّينَ، ما اضطرّهم إلى مهادنة السيّد (طالب النقيب)، وقام القنصل البريطانيّ بمراقبة الأحداث، ونقل كلّ شيء لحكومته[٢].

وفي عام (١٩١٢م) قام (عجيمي السّعدون) بإشاعة أخبار مُفادها أنّه سيتوجّه إلى البصرة لاحتلالها، وحمّل السيّد (طالباً النقيب) مسؤوليّة وفاة والده (سعدون باشا السّعدون)،

(١) يُنظر: حميد أحمد حمدان، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني: ص٣٨.
(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص٣٩.

وقدْ اتُّخذتْ الاستعدادات في المدينة، فاستدعى السيّد(طالب النقيب) مؤيّديه منْ فلّاحي بساتين(أبي الخصيب)، الذينَ لبُّوا دعوتَهُ بأعداد كبيرة، ودخلوا المدينة وهم (يهتفون)، ويُطلقونَ العيارات الناريّة، ثمّ صدرتْ إليهم الأوامر بمرافقته إلى الزّبير، لمحاربة(عجيمي)، وساد المدينة الخوفُ والقلقُ، وأُغلقتْ الأسواق ومكاتب البنوك، وهربتْ العوائل المسيحيّة إلى العشّار، ولجأ البعض من النّاس إلى قنصليتي روسيا وأميركا الواقعتين على الطريق المؤدّي إلى العشّار؛ إذْ استضاف القنصل الأميركيّ أربعينَ شخصاً منهم[١].

عند قيام الحرب العالميّة الأولى، ودخول الدّولة العثمانيّة الحرب في جانب ألمانيا، قرّرتْ بريطانيا احتلال العراق، وكانتْ البداية هي احتلال الفاو في (٦/ ١١/ ١٩١٤م)، ثمّ اتّجهتْ شمالاً نحو العشّار، وفي طريقها ردّتْ على النّيران العثمانيّة في عبّادان بواسطة السّفينة (اسبيكل)، وعلى بعض الزّوارق الصّغيرة

(١) يُنظر: خالد حمود السّعدون، الأوضاع القبليّة في البصرة(١٩٠٨-١٩١٨م)، بيروت، (د.ت): ص٢١٢.

التابعة لها، وبعدها خاضتْ القوّات البريطانيّة ثلاث معارك ضدّ القوّات العثمانيّة في (السّنيّة، وسيحان، وكوت الزّين)، وواصلتْ زحفها إلى أبي الخصيب، ثمّ العشّار، ما أدّى بالقوّات العثمانيّة إلى الانسحاب منها في (٢٠/ ١١/ ١٩١٤م)، وسمحتْ للسّرّاق بمهاجمة دار الحكومة والكمرك والإدارة النهريّة، ونهب ما فيها، وفي هذا التاريخ أعلنَ البريطانيّونَ احتلالَ البصرة[١].

استمرّتْ الأوضاع السّياسيّة والإداريّة والعمرانيّة بالتطوّر والاتّساع عاماً بعد عامٍ، فعلى سبيل المثال تمّ افتتاح مطار البصرة الدّوليّ في (٢٥ آذار ١٩٣٨م)، من قبل الملك (غازي)، وعدد من المطارات الكبيرة في المنطقة[٢]، واستتبّ الأمنُ في البصرة، وازداد عدد المحلّات السّكنيّة.

---

(١) يُنظر: التميميّ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني: ص١٥- ١٩.

(٢) يُنظر: إحسان وفيق السّامرائيّ، لوحات من البصرة، عبير التوابل، والموانئ البعيدة، البصرة ٢٠٠٩م: ص١٤٥.

الخاتمة

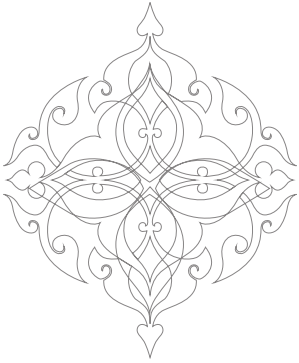

الخاتمةُ

أسِّستْ البصرةُ عام (١٤هـ)، عندما أصبحتْ مقرّاً للجيوش الإسلاميّة في جبهة الشّرق، وبعد مدّةٍ دعتْ الحاجة إلى جعلها مدينة للسّكن، فتمّ تخطيطها على وفق الرؤية الإسلاميّة، من بناء المسجد الجامع ومقرّ الحكم والإدارة، وبناء الأسواق، وغيرها.

استمرّتْ المدينة في البقاء لأكثر من سبعة قرون، وتعرّضتْ لمصاعبَ ومحنٍ شتّى، إلّا إنّها تجاوزتها، وازدهرتْ فيها الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، فقامتْ فيها الصّناعات اليدويّة المتنوّعة، وصُنعتْ فيها السّفن لنقل البضائع والسِّلع داخليّاً وخارجيّاً، وفي المجال اللّغويّ ظهرتْ فيها مدرسة نحويّة متميّزة، وظَهَرَ فيها أُدباء كبار، إلّا إنّ الأخطار الخارجيّة من غزوات وحملات عسكريّة، جعلتْها تضعف تدريجيّاً في هذا المكان.

وفي البصرة الثانية التي بدأ الانتقال إليها مع بداية القرن الخامس عشر الميلاديّ، نتيجة أسباب فرضتها الطبيعة، ومنها

مشكلة المياه، وعدم كفايتها للحاجة البشريّة، ومنْ ثمّ عدم صلاحيّة المكان لقضايا الإنتاج الزراعيّ، بدأتْ المدينة بالتكوُّن على شكل محلّاتٍ، ومنها: محلّة الحكم لآل مغامس من المنتفك، ومحلّة الدّيوانيّة، ثمّ محلّات الأُسر المتنفّذة والغنيّة، أمثال: أسرة آل عبد السّلام (بيت باش أعيان لاحقاً)، والأسرة الرّفاعيّة، والرّدينيّة، في بداية الاستيطان، ثمَّ تزايدتْ المحلّات عند توسّع المدينة.

والنتيجة المهمّة لنوعيّة هذا الاستيطان هو أنّ مركز المدينة كان مكاناً لسكن الأُسر والعوائل، ولمْ يكن فيه عشائر أو قبائل، بينما شمال البصرة وشرق شطّ العرب، كان مركز استيطان العشائر العربيّة، والمُلاحظ في المركز أنّ أغلبيّة النّاس منَ المسلمينَ، إلا إنّ اللّافت للنظر وجود الفرق الصّوفيّة في البصرة، وأهمّها الشّاذليّة، حتّى قيل إنّ البصرة شاذليّة الهوى في القرن السّادس عشر.

والأمر الملفت للنظر -أيضاً- من الناحية السّياسيّة، أنّ البصرة أصبحتْ شبه مستقلّة لمدّة (٧٢) عاماً، في عهد الإمارة

الأفراسيابيّة، التي اتّخذتْ سياسة عربيّة في الحكم، من عام (١٥٩٦م)، إلى عام(١٦٦٨م).

وفي القرن التاسع عشر لم يعُدْ المكان الثاني يكفي للسّكن أو للنشاط التجاريّ، وإنّ البضائع التي تنقلها السُّفن ازدادتْ، وهي بحاجة إلى عمّال لتفريغ حمولات السُّفن آنذاك، ومنْ ثمّ دعتْ الحاجة إلى انتقال سكن العمّال إلى مكانٍ قريبٍ منْ شطّ العرب، فكان العشّار هو البداية، فبُنيتْ المساكن والقصور والبنوك والمقرّات التجاريّة فيه، وضمَّ ميناء البصرة نسيجاً بشريّاً متنوّعاً، فتجدْ العربيّ إلى جانب الهنديّ والأوربيّ والسّوريّ والإيرانيّ والخليجيّ، وحتّى المصريّ.

وبدأتْ البصرة في بداية القرن العشرينَ تُمارس السّياسة التي كانت بالضدِّ من الدولة العثمانيّة، فقامتْ بتأليف الأحزاب والجمعيّات السّياسيّة، وبرز فيها قادةٌ سياسيّونَ تحدَّوا السّلطة العثمانيّة، أمثال السيّد طالب النقيب.

إلا إنّ الوضع الدّوليّ لمْ يكنْ إلّا استعماريّاً، فعند قيام الحرب

العالميّة الأولى، قرّرتْ الحكومة البريطانيّة احتلال العراق، وجعله تابعاً لها، وهكذا دخلتْ القوّاتُ البريطانيّة البصرة، واحتلّتْ العشّار في (٢٠/ ١١/ ١٩١٤م)، ولمْ ينتَهِ إلّا في عام (١٩٥٨م).

مصادرُ البحث ومراجعُه

مصادرُ البحث ومراجعُهُ

أ- المخطوطات

١- باش أعيان، عبد القادر، مخطوطة تاريخ البصرة الكبير، المكتبة العبّاسيّة في البصرة، ج٦، ج٢٦.

٢- باش أعيان، عبد الواحد، تحفة النّصرة في أخبار البصرة، المكتبة العبّاسيّة.

٣-------، زبدة التواريخ، المكتبة العبّاسيّة، ج١، ج٢، ج١٠، ج١٢.

٤- باش أعيان، ياسين، بلوغ المرام في مناقب آل عبد السّلام، المكتبة العبّاسيّة.

٥- البصريّ، يحيى بن إبراهيم، تمائم الدّرر في مناقب السّادات الغُرر، مخطوطة المكتبة العبّاسيّة.

٦- البصريّ، يحيى بن ملّا خليل، الشّاهد الجلي في مناقب الشّيخ علي، المكتبة العبّاسيّة.

٧- عبد القادر، علي، مناقب الكواوزة، مخطوطة في المكتبة العبّاسيّة، رقم(أ ٣).

٨- الغرابيّ، أحمد بن عبد الله، عيون أخبار الزّمان من سالف العصور والأزمان، دار المخطوطات في بغداد.

٩- سجلّات المحكمة الشرعيّة في البصرة، سجل رقم (١، ٢٣).

١٠- سجلّات الدّولة العثمانيّة، سجل رقم (١٢٥٦)، كلّيّة الآداب، جامعة بغداد.

ب-الرسائل والأطروحات

١- حسين، جاسم مهاوي، تاريخ الغزو التيموريّ للعراق وبلاد الشّام، رسال ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

٢- رؤوف، عماد عبد السّلام، الحياة الاجتماعيّة في العراق إبّان عهد المماليك (١٧٤٩- ١٨٣١م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

٣- السّعديّ، أمل عبد الحسين، الأُبُلّة في العصر الإسلاميّ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

٤- القهواتيّ، حسين محمّد حسين، العراق بين الاحتلالين الأوّل والثاني (١٥٣٤-١٦٣٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٧٥م.

٥- مراد، خليل علي، تاريخ العراق الإداريّ والاقتصاديّ في العهد العثمانيّ (١٦٣٨-١٧٥٠م)، جامعة بغداد، ١٩٧٥م.

ج- الكتب العربيّة والمعرّبة

١- ابن أبي الحديد، عبد الحميد المعتزليّ، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٩م.

٢- الأعظميّ، علي ظريف، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، ١٩٢٧م.

٣- الأفغانيّ، سعيد، أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام، دمشق، ١٩٦٠م.

٤- الأنصاريّ، أحمد نور، النصرة في أخبار البصرة، تحقيق:

يوسف عزّ الدّين، بغداد، ١٩٦٩م

٥- أوزبران،الأتراك العثمانيونَ في الخليج(١٥٢٤- ١٥٨١م)، ترجمة: عبد الجبّار ناجي، بغداد، ١٩٧٩م.

٦- أداموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: محمّد وصفي أبو مغلي، البصرة، ١٩٨٠م.

٧- البدليسيّ، شرفنامة، بغداد، ١٩٥٧م.

٨- البصريّ، حسّون كاظم، ذكرى فقيد الأمّة والوطن المغفور له صالح باش أعيان، بيروت، ١٩٤٩م.

٩- بطاطو، حنّا، العراق، الطبقات الاجتماعيّة، الحركات الثوريّة من العهد العثمانيّ حتّى قيام الجمهوريّة، ترجمة: عفيف الرزّاز، الكتاب الأوّل، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠- بلات، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامرّاء، ترجمة: إبراهيم الكيلانيّ، دمشق، ١٩٦١م.

١١- البلاذريّ، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٣٢م.

١٢- تافرنييه، جون باتيست، العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عوّاد، بغداد، ١٩٤٤م.

١٣- التميميّ، حميد أحمد حمدان، البصرة في عهد الاحتلال البريطانيّ (١٩١٤-١٩٢١م)، بغداد، ١٩٧٩م.

١٤- تيخيرا، بيدرو، رحلة من البصرة إلى حلب عَبر الطريق البرّي(١٦٠٤- ١٦٠٥م)، ترجمة:د. أنيس عبد الخالق محمود، بيروت، ٢٠١٣م.

١٥- تيفينو، جان دي، رحلات جان دي تيفينو (١٦٦٤-١٦٦٥م)، ترجمة وتعليق: أنيس عبد الخالق محمود، بيروت، ٢٠١٣م.

١٦- جب، هاملتون، وبوون، هارولد، المجتمع الإسلاميّ والغرب، ترجمة: أحمد عبد الرّحيم مصطفى، القاهرة، ١٩٧١م.

١٧- الجواهريّ، عماد أحمد، مشكلة الأراضي في العراق (١٩١٤-١٩٣٢م)، بغداد، ١٩٧٨م.

١٨- الجنابيّ، كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، بغداد، ١٩٦٧م.

١٩- الحلو، علي نعمة، الأحواز (عربستان في أدوارها التاريخيّة)، القسم الأوّل من الجزء الثاني، بغداد، (د.ت).

٢٠- الحمويّ، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، (د.ت).

٢١- الحيدريّ، إبراهيم فصيح، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، بغداد،(د.ت).

٢٢- الحويزيّ، عبد علي بن ناصر، السّيرة المرضيّة في شرح الفرضيّة، نشرها الأستاذ محمّد الخال باسم تاريخ الإمارة الأفراسيابيّة، بغداد، ١٩٦١م.

٢٣- خان، ميرزا حسن، تاريخ ولاية البصرة، ترجمة: محمّد وصفي أبو مغلي، البصرة، ١٩٨٠م.

٢٤- الخيّاط، جعفر، العراق في العصور المظلمة، بغداد، ١٩٧١م.

٢٥- زكي، أحمد كمال، الحياة الأدبيّة في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجريّ، ١٩٦١م.

٢٦- سليم، شاكر مصطفى، الجبايش، دراسة انثروبولوجيّة،

بغداد، ١٩٧٠م.

٢٧- سليمان، يوسف زاده علي، الدّرّ المنضّد في مناقب السيّد أحمد ووالده الممجّد، القاهرة، ١٩٠٦م.

٢٨- السّعدون، خالد حمود، البصرة في عهد الاحتلال البريطانيّ (١٩٠٨-١٩١٨م).

٢٩- السّامرائيّ، إحسان وفيق، لوحات من البصرة، عبير التوابل والموانئ البعيدة، البصرة، ٢٠٠٩م.

٣٠- الشهابيّ، ياسين بن حمزة، أرجوزة في تأريخ البصرة، دراسة وتحقيق: فاخر جابر مطر، البصرة، ١٩٩٠م.

٣١- الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، ١٩٣٩م.

٣٢- الطنجيّ، محمّد بن عبد الله اللّواتي(ابن بطوطة)، تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: علي المنتصر الكتّانيّ، بيروت، ١٩٧٥م.

٣٣- عبّاس، عبد الرّزاق، نشأة مدن العراق وتطوّرها، بغداد،

١٩٧٧م.

٣٤- علوي، ناصر خسرو، سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشّاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٣٥- العراق، نعمان بن محمّد، الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، تحقيق: محمّد حميد الله، باكستان، ١٩٧٣م.

٣٦- العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصاديّة في البصرة في القرن الأوّل الهجريّ، بغداد، ١٩٥٣م.

٣٧- -------، خطط البصرة ومنطقتها، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٨- الغزالي، عبد المجيد حسن، البصرة، بغداد، ١٩٤١م.

٣٩- فائق، سليمان، تاريخ المنتفق، ترجمه للعربيّة: خلّوصي النّاصريّ، بغداد، (د.ت).

٤٠- فسّر، ريدر، البصرة وحلم الجمهوريّة الخليجيّة، ترجمة: سعد الغانمي، بغداد، ٢٠٠٨م.

٤١- قاسم، عون الشّريف، شعراء البصرة في العهد الأمويّ، بيروت، ١٩٧٢م.

٤٢- القزّاز، محمّد صالح، الحياة السّياسيّة في العراق في عهد السّيطرة المغوليّة، النجف الأشرف، ١٩٧٠م.

٤٣- الكاتب، محمّد طارق، شطّ العرب، وشطّ البصرة والتاريخ، البصرة، ١٩٧١م.

٤٤- كرستيجي، رحلة من بومباي إلى البصرة والعودة إليها، ترجمة: منذر الخور، البحرين، ١٩٨٩م.

٤٥- الكعبيّ، فتح الله بن علوان، زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر، بغداد، ١٩٥٨م.

٤٦- كوثراني، وجيه، السّلطة والمجتمع والعمل السّياسيّ، من تاريخ الولايات العثمانيّة في بلاد الشّام، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٧- لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخيّ، قطر، (د.ت).

٤٨- مرتضى، نظمي زاده، كلشن خلفا، نقله إلى العربيّة: موسى كاظم نورس، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

٤٩- ناجي، عبد الجبّار، دراسات في تاريخ المدن الإسلاميّة، البصرة، ١٩٨٦م.

٥٠- النبهانيّ، محمّد بن خليفة، التّحفة النبهانيّة في تاريخ الجزيرة العربيّة، القاهرة، ١٣٤٢هـ.

٥١- نيبور، كارستن، رحلة إلى شِبه الجزيرة العربيّة في القرن السّابع عشر، ترجمة: سليم طه التكريتيّ، بغداد، ١٩٦٩م.

٥٢- نصّار، عبد العظيم، بلديّات العراق في العهد العثمانيّ، بغداد، ٢٠٠٦م.

٥٣- ويلسون، أرنولد.ت، الخليج العربي، ترجمة: عبد القادر اليوسف، (د.ت).

د- الكتب الأجنبيّة

1-AL-Hamadani,Tarik,H.Nafi, The political Administrative and Economic history of basra Province 1534 /1638. in published Ph.D. Thesis ,University of Manchester, 1980

2- Barkan, O. L"Research on the ottoman Fiscal surveyes,in the studies of the

Economic history of the Middle East,from the rise of Islam to the present day-Edited by: M.A.cook(London,1970) P,171

3- Chronicle of the Carmalites in Persia and the People mission of the xvill and xvill the centuries, vol. 2,PP. 83, 88

هـ- البحوث والدّراسات

١- أبو شرب، أحمد، مساهمة الوثائق البرتغاليّة في كتابة الغزو البرتغاليّ لسواحل المغرب العربيّ والخليج العربيّ، مجلّة الوثيقة البحرينيّة، العدد (١٠)، ١٩٨٧م.

٢- الجابريّ، محمّد هليل، البصرة خلال العهد العثمانيّ الأوّل، دراسة سياسيّة (١٥٣٤-١٦٣٨م)، موسوعة تاريخ البصرة، الموسوعة الحضاريّة، البصرة، ١٩٨٩م.

٣- جواد، مصطفى، الأُبُلّة ونهرها العشّار، مجلّة سومر، ١٩٥٣م.

٤- الحمدانيّ، طارق نافع، إمارة آل مغامس العربيّة في البصرة، المجلّة العربيّة للعلوم الإنسانيّة، الكويت، ١٩٨٧م.

٥--------، الرّحّالة البرتغاليّون في الخليج العربي خلال القرنين السّادس عشر والسّابع عشر، مجلّة الوثيقة البحرينيّة،

العدد (١٥)، ١٩٨٩م.

٦- حميد، عبد العزيز، الفنون الزّخرفيّة، في موسوعة حضارة العراق، ج٩، بغداد، ١٩٨٥م.

٧- الحديثيّ، خديجة، اللّغة والنحو، في موسوعة حضارة العراق، ج٧، بغداد، ١٩٨٥م.

٨- الحميدان، عبد اللّطيف ناصر، مخطوطة عليّ بن عبد الله الموسويّ، محتواها وأهمّيّتها كمصدر تاريخيّ، المجلّة التاريخيّة المغربيّة، العدد(٢٩و٣٠)، ١٩٨٣م.

٩- الركابيّ، خالد جاسم، الجيش والشّرطة، في موسوعة حضارة العراق، ج٦، بغداد، ١٩٨٥م.

١٠- رؤوف، عماد عبد السّلام، التنظيمات الاجتماعيّة، في موسوعة حضارة العراق، ج١٠، بغداد، ١٩٨٥م.

١١- عبد الرّحيم، عبد الرّحيم عبد الرّحمن، العلاقات الاقتصاديّة والاجتماعيّة بين الولايات العربيّة إبّان العهد العثمانيّ(١٥١٧-١٧٩٨م)، المجلّة التاريخيّة المغربيّة، العدد

(٢٩و٣٠)، ١٩٨٣م.

١٢- علي، علي شاكر، التنظيمات الإداريّة في إيالة البصرة خلال النصف الثاني من القرن السّادس عشر، مجلّة دراسات الخليج والجزيرة العربيّة، العدد (٣٥)، ١٩٨٣م.

١٣----------، التنظيمات الماليّة في البصرة خلال النصف الثاني من القرن السّادس عشر، مجلّة المؤرّخ العربيّ، العدد(٧٧)، ١٩٨٦م.

١٤- فنشنسو، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السّابع عشر، ترجمة وتعليق: الأب بطرس حدّاد، مجلّة المورد، العدد (٣)، ١٩٧٦م.

١٥- الكبيسيّ، حمدان عبد المجيد، الصّناعة، في موسوعة حضارة العراق، ج٥، بغداد، ١٩٨٥م.

١٦- الكرملي، الأب فيليب، الرّحلة الشّرقيّة، ترجمة: الأب بطرس حدّاد، مجلّة المورد، العدد (٤)، ١٩٨٩م.

١٧- كمّونة، حيدر، الخصوصيّة التراثيّة لتصميم المسكن

العربيّ، مجلّة التراث والحضارة، العدد (٦و٧)، ١٩٨٦م.

١٨- معروف، بشّار عوّاد، التربية والتعليم، مدارس العراق في العصر العبّاسيّ، في موسوعة حضارة العراق، ج٨، بغداد، ١٩٨٥م.

فهرس المحتويات

المحتويات

مقدّمة المركز	٥
المقدّمة	٧
البصرةُ الأولى	١٣
خِطط البصرة	١٥
الأحوالُ الاقتصاديّةُ	٢٠
الأحوالُ العلميّةُ	٢٢
الأحوالُ السّياسيّةُ	٢٣
البصرةُ الثانيةُ	٣١
الانتقالُ من البصرةِ القديمةِ إلى البصرةِ الجديدةِ (الثانية)	٣١
الأحوالُ السّياسيّةُ	٤٦
التقسيماتُ الإداريّةُ	٥٣
المنشآتُ الحكوميّةُ	٥٥
ميناءُ السرّاجيّ	٥٩

القلاعُ العسكريّةُ ٦٠
المؤسّساتُ الدّينيّةُ ٦٢
المنشآتُ الاقتصاديّةُ ٦٤
المراكزُ الخدميّة (الخانات، والحمّامات) ٦٦
أعدادُ السّكّانِ ٦٩
محلّاتُ البصرةِ ٧١
أسوارُ البصرةِ ٧٤
المساكنُ والبيوتُ ٧٧
الاستيطانُ الرّيفيُّ في جنوبِ البصرةِ وشرقِ شطِّ العرب ٨١
الاستيطانُ في أهوارِ البصرةِ ٨٥
الأُسَر البارزةُ في البصرةِ ٨٨
الأُسَرُ والقبائلُ ١٠٤
البصرةُ الثالثةُ ١١٧
العمرانُ في العشّار ١٢١
الخدماتُ البلديّةُ ١٢٥

تطوّرُ النّقلِ والعمرانِ في البصرةِ ١٢٩
الأحوالُ الاجتماعيّةُ والدّينيّةُ ١٣٢
الأحوالُ السّياسيّةُ ١٣٥
الخاتمةُ ١٤٣
مصادرُ البحث ومراجعُهُ ١٤٩
فهرس المحتويات ١٦٥